

الأعمال بالخواتيم

حسن الخاتمة وسوء الخاتمة

أسباب وعلامات

«حسن الخاتمة وسوء الخاتمة أسباب وعلامات»

يرحم اللَّه سفيان الثوري وهو من هو يقول عند الموت: «بكينا على الذنوب زمانًا ونحن الآن نبكي على الإسلام».. هذا خوف الصديقين.. خوف من يعرف الأمر حق معرفته.. وأن الأعمال بالخواتيم.. وهي حقيقة تتصدع لها الأكباد وتنفطر لها القلوب، وتسيل منها العيون دمًا.

ولولا أن اللَّه جل وعلا حَدَّدَ الآجال لزهقت الأنفس عند أول ذكره، ولكنها مربوبة مُدَبَّرةٌ، مقهورة مصرفة، تخرج إذا أذن لها في الخروج، وتلج إذا أذن لها في الولوج، وما يمنع القلوب من الانشقاق والانصداع والانفطار والانقطاع، والذي يلقى المختوم له بسوء الخاتمة عذاب لا تقوم له السماوات والأرض لشدته، ولا آخر لمدته.

قيل: لا تكفّ دمعك حتى ترى في المِعاد ربعَك.

وقيل: لا تكحل عينك بنوم، حتى ترى حالك بعد اليوم.

وقيل: لا تبت وأنت مسرور حتى تعلم عاقبة الأمور.

وقد علمت أن الناس صنفان: صنف مقرب مُصَانٌ، وصنفٌ مبعدٌ مهانٌ، صنف نصبت له الأسرة والحِجالُ، وجمعت له الرغائب، والآمال والأرائك والكلال، وصنف أعدت له الأراقم والصلال والمقامع والأغلال وضروب الأهوال[1] .

---

(١) «اغتنام الأوقات في الباقيات الصالحات قبل هجوم هادم اللذات ومشتت الشمل ومفرق الجماعات» لعبد العزيز المحمد السلمان (٣١ ـ ٣٢) الطبعة الأولى ـ وقفية». =

● «وإذا كانت الهداية إلى اللَّه مصروفة، والاستقامة على مشيئته موقوفة، والعاقبة مغيبة، والإرادة غير مغالبة، فلا تعجب بإيمانك وعملك، وصلاتك وصومك، وجميع قربك، فإن ذلك وإن كان من كسبك فإنه من خلق ربك وفضله الدار عليك وخيره، فمهما افتخرت بذلك كنت كالمفتخر بمتاع غيره، وربما سلب عنك فعاد قلبك من الخير أخلى من جوف البعير، فكم من روضة أمست وزهرها يانعٌ عميمٌ، فأصبحت وزهرها يابسٌ هشيمٌ، إذ هبت عليها الريح العقيم، كذلك العبد يمسي وقلبه بطاعةِ اللَّـه مشرقٌ سليمٌ، فيصبح وهو بمعصية اللَّه مظلمٌ سقيمٌ، ذلك فعل العزيز الحليم، الخلاق العليم[1] .

عن سهل بن سعدٍ أن رجلاً من أعظم المسلمين غناءً عن المسلمين في غزوة غزاها مع النبي ﷺ، فنظر النبي ﷺ فقال: «**من أحبَّ أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا**»، فاتبعه رجل من القوم وهو على تلك الحال، من أشد الناس على المشركين، حتى جُرِحَ فاستعجل الموت، فجعل ذبابة سيفه بين ثدييه حتى خرج من بين كتفيه، فأقبل الرجل إلى النبي ﷺ مسرعًا فقال: أشهد أنك رسول اللَّه، فقال: «**وما ذاك؟**»، قال: قلتَ لفلان من أحب أن ينظر إلى رجلٍ من أهل النار فلينظر إليه، وكان أعظمنا غناءً عن المسلمين فعرفت أنه لا يموت على ذلك، فلما جرح استعجل الموت فقتل نفسه فقال النبي ﷺ عند ذلك: «**إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل**

= وانظر: رسالة شيخنا الحبيب الدكتور أحمد فريد «تذكير النفوس المؤمنة بأسباب سوء الخاتمة وأسباب حسن الخاتمة».

(١) «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» لأبي عبد اللَّه القرطبي بتحقيق مجدي فتحي السيد (١/١٠٩) ط. دار الصحابة ـ طنطا.

الجنة. ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار، وإنما الأعمال بالخواتيم»[١] .

فلا تصلح الأعمال الصالحة حتى يختم للعبد بعمل صالح يدخله اللَّه به الجنة قال رسول اللَّه ﷺ : «**والذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها...**»[٢] .

● **قال النووي ـ رحمه اللَّه ـ:**

والمراد بالذراع التمثيل للقرب من موته ودخول عقبه، وأن تلك الدار ما بقي بينه وبين أن يصلها إلا كمن بقي بينه وبين موضع من الأرض ذراع، والمراد بهذا الحديث: أن هذا قد يقع في نادر من الناس، لا أنه غالب فيهم، ثم إنه من لطف اللَّه تعالى وسعة رحمته انقلاب الناس من الشر إلى الخير في كثرة، وأما انقلابهم من الخير إلى الشر ففي غاية الندور ونهاية القلة، وهو نحو قوله تعالى: «**إن رحمتي سبقت غضبي، وغلبت غضبي**»[٣] [٤] .

● عياذًا باللَّه من الحور بعد الكور، ومن الضلالة بعد الهدى، ومن المعصية بعد التقى، كم من وجوه خاشعة وقع على قصص أعمالها عاملة ناصبة تصلى نارًا حامية، كم من شارف مركبه ساحل النجاة فلما هَمَّ أن يرتقي لعب به موجٌ فغرق. الخلق كلهم تحت هذا الخطر قلوب العباد بين

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي.

(٣) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي.

(٤) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٦/ ٢٩٦).

إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ما العجب ممن هلك كيف هلك إنما العجب ممن نجا كيف نجا[١].

● ولقد كان من دعـاء نبينا ﷺ: **«اللَّهم يا وليّ الإسلام وأهـله مسّكني بالإسلام حتى ألقاك عليه»**.

وكان نبـينا ﷺ يتعوذ مـن فتنة المحيا والممات وفتنة المـمات في هذه اللحظات عند السياق والسكرات.

● قال أبو محمد عبد الحق: اعلم أن سـوء الخاتمة ـ أعاذنا اللَّه منها ـ لا تكون لمن استقـام ظاهره وصلح باطنه، وما سمع بهـذا ولا علم به ـ والحمد للَّه ـ وإنما تكون لمن كان له فساد في الـعقل، أو إصرار على الكبائر، وإقدام على العظائم، فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة، فيصطلمه الشيطان عند تلـك الصدمة، ويختطفه عند تلك الدهـشة ـ والعياذ باللَّه ـ أو يكون ممن كان مـستقيمًا، ثم يتغـير عن حاله ويخرج عن سنـنه، ويأخذ في طريقه، فيكون ذلك سببًا لسوء خاتمته، وشؤم عاقبته.

● قال ابن القـيم ـ رحمه اللَّه ـ: فإذا كـان العبد في حال حـضور ذهنه وقوته وكمال إدراكه قد تمكـن منه الشيطان واستعمله فيمـا يريده من معاصي اللَّه، وقد أغـفل قلبه عن ذكر اللَّـه، وعطل لسانه عن ذكـره، وجوارحه عن طاعته، فكيف الظن به عند سقوط قواه، واشـتغال قلبه ونفسه بما هو فيه من ألم النزع، وقد جـمع الشيطان له كل قوتـه وهمته، وحشده عليه بـجميع ما يقدر علـيه لينال منه فـرصته، فإن ذلك آخر الـعمل، فأقوى ما يكـون عليه شيطانه ذلك الوقت، وأضعف ما يكـون هو في تلك الحال، فمن ترى يسلم

---

(١) «لطائف المعارف» (٣٥٥ ـ ٣٥٦).

على ذلك فهناك: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

فكيف يوفق لحسن الخاتمة من أغفل اللّه سبحانه قلبه عن ذكره، واتبع هواه، وكان أمره فرطًا؟!! فبعيد مَنْ قلبه بعيد من اللّه تعالى، غافل عنه متعبد لهواه، أسير لشهواته، ولسانه يابس عن ذكره، وجوارحه معطلة عن طاعته، مشتغلةٌ بمعصيته، بعيد عن هذا أن يوفق للخاتمة بالحسنى.

ولقد قطع خوف الخاتمة ظهور المتقين، وكأن المسيئين الظالمين قد أخذوا توقيعًا بالأمان.

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ * سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ [القلم: ٣٩ ـ ٤٠].

* كما قيل:

يا آمنًا من قبح الفعل منه أَهَلْ ... أَتَاكَ توقيع أَمْنٍ أنتَ تملكُهُ
جمعتَ شيئين أمْنًا واتباع هوى ... هَذَا وَإِحداهُمَا في المرء تُهلِكُهُ
والمُحسِنونَ على دربِ المخاوف قَدْ ... ساروا وذلكَ دربٌ لستَ تسلكُهُ
فرطت في الزرعِ وقتَ البذرِ من سَفَهٍ ... فكيفَ عند حصادِ النَّاسِ تُدرِكُهُ
هَذَا وأعجبُ شيءٍ فيكَ زُهدكَ في ... دَارِ البَقاءِ بِعَيْشٍ سَوْفَ تتركُهُ
مَن السفيهُ إِذًا باللّه أنتَ أم الـ ... مغبونُ في البيع غَبْنًا سوفَ يُدْرِكُهُ[1]

فالخوف من سوء الخاتمة هو الذي طيَّشَ قلوب الصديقين، وحَيَّرَ أفئدتهم في كل حين، ليس لهم في الدنيا راحة كلما دخلوا سكة من سكك السكون

(١) «الداء والدواء» لابن القيم (١٤٣ ـ ١٤٤) طبع دار ابن الجوزي.

أخرجهم الجزع إلى شارع من شوارع الخوف.

أروح بشجوٍ ثم أغدو بمثله وتحسب أني في الثياب صحيح

أحكَمَ القومُ العلمَ فحكم عليهم بالعمل، فقاطعوا التسويف الذي يقطع أعمار الأعمال، وانتهبوا فانتبهوا الليل والنهار، وأخرجوا قوى العزائم إلى الأفعال، فلما قضوا ديون الجد قضت عليهم بالحذر من الردِّ.

القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء سبحانه، كما ثبت ذلك عن المصطفى ﷺ.

كم سمعنا عمن آمن ثم كفر، وكم رأينا من استقام ثم انْحرَفَ، ولذلك كان كثيراً ما يردد عليه الصلاة والسلام من دعائه: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**»[1].

● اللَّهم لا تجعلنا ممّن يفضحه ميراثه عند موته وعند القدوم عليك.

قال رسول اللَّه ﷺ:

«**من مات على شيء بعثه اللَّه عليه**»[2].

وكم بكى العباد على الخاتمة، فلن تخرج الأرواح حتى يسمعوا نغمة ملك الموت بإحدى البشريين: إما أبشر يا عدو اللَّه بالنار، أو أبشر يا وليّ اللَّه بالجنة.

فيا بُعد سفرنا وقلة زادنا... لا يزول خوفنا ولا يسكن اضطرابنا حتى نسمع مقالة ملك الموت: اخرجي أيتها الروح الطيبة إلى روح وريحان ورب غير غضبان.

---

(١) «اللطف في الوعظ» لابن الجوزي ص(٢١).

(٢) رواه الحاكم (٤/ ٣١٣)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، ووافقه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٨٣).

أسباب حسن الخاتمة

١ ـ الاستقامة:

والاستقامة أعظم الكرامة. . . وسبب عظيم في حسن الخاتمة قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾ [فصلت: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [الأحقاف: ١٣].

والاستقامة كلمة جامعة، آخذة بمجامع الدين، قال الصديق ﷺ لما سئل عنها: أن لا تشرك بالله شيئًا. فأراد بها الاستقامة على محض التوحيد. وفسّرها الفاروق بالاستقامة على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعالب، وفسرها ذو النورين بإخلاص العمل لله، وفسرها ابن تيمية بالمحبة والعبودية، لا يلتفتوا عنها يمنة ولا يُسرة.

وهي تتعلق بالأقوال، والأفعال، والأحوال، والنيات، ووقوعها لله، وبالله وعلى أمر الله، وردّ الجهالات إلى السنّة، والمتابعة في مسائل الاعتقاد والعمل والعبادة.

• «وأهل الاستقامة هم الذين تتنزل عليهم ملائكة الله عز رجل عند الموت بالبشارة بالجنة والنجاة من النار، إشارة إلى أنهم يوفقون للخاتمة الحسنة»[١].

«لما احتُضر أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ﷺ قال: لا تبكوا عليّ، فإني لم أتنطف[٢] بخطيئة منذ أسلمت»[٣].

---

(١) «تذكير النفوس المؤمنة» ص(٦٩). (٢) لم أتنطَّف: أي لم أتلطخ.
(٣) «السير» (١/ ٢٠٤).

● والعماد المقدسي قال عنه ابن قدامة: «من عمري أعرفه، ما عرفت أنه عصى اللَّه معصية»(١) .

فلما جاءه الموت جعل يقول: يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث. . . واستقبل القبلة وتشهد.

٢ ـ التقوى:

قال اللَّه عز وجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

قال الشيخ أحمد فريد: «وعد اللَّه عز وجل أهل التقوى بالمخرج من كل ضيق فقال عز وجل: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا** ﴾ [الطلاق: ٢].

ولا شك أن العبد في حال السكرات في شدة وحرج والمخرج والنجاة في الذكر والطاعة والنطق بكلمة التوحيد، كما وعد اللَّه عز وجل المتقين اليسر بعد المشقة فقال تعالى: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا** ﴾ [الطلاق: ٤].

٣ ـ ومن أسباب حسن الخاتمة حسن الظن باللَّه تعالى:

قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه تعالى يقول: أنا عند ظن عبدي بي، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر**»(٢) .

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**قال اللَّه تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، إنْ ظنّ**

---

(١) «السير» (٢٢/ ٥٠).

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في «الأوسط»، وأبو نعيم في «الحلية» عن واثلة، وكذا رواه ابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٩٠٥).

خيراً فله، وإن ظن شرّاً فله»[1] .

● وقال رسول الله ﷺ : «**قال الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء»**[2] .

● وقال رسول الله ﷺ : «**قال الله تعالى: إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه، وإذا كره لقائي كرهت لقاءه»**[3] .

● وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاث يقول: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله»**[4] .

قال ابن الجوزي: «فليجعل المريض حسن الظن بالله شعاره ودثاره، وليقو نفس رجائه، فإن الخوف سوط تساق به النفس إلى الجد، وما بقي في الناقة موضع لسوط إنما حسن الظن».

● وعن أنس أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت، فقال له: «**كيف تجدك؟**»، قال: أرجو الله وأخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ : «**لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجوه وأمّنه مما يخاف»**[5] .

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده» عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٣١٥)، وفي «السلسلة الصحيحة» (١٦٦٣).

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير»، والحاكم في «المستدرك» عن واثلة، وكذا رواه أحمد، وابن حبان، والدولابي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٣١٦).

(٣) رواه مالك، وأحمد، والبخاري، والنسائي عن أبي هريرة.

(٤) رواه مسلم (١٧/ ٢٠٩) في «صفة الجنة»، وأبو داود في «سننه» (٢٠٩٧) في الجنائز.

(٥) رواه ابن ماجه في «سننه» (٤٢٦١) في كتاب «الزهد»، وحسّنه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٠٥١).

قال حبان أبو النضر: قال لي واثلة بن الأسقع: قُدْني إلى يزيد بن الأسود الجرشي فإنه قد بلغني أنه لما به، فقدتُه، فدخل عليه وهو ثقيل، فقلت له: إنه ثقيل قد وُجّه وقد ذهب عقله، فلما سمع أن واثلة قد جاءه فمدّ يده، فجعل يلتمس بها، فعرفت ما يُريد، فأخذت كفّ واثلة فجعلتها في كفه، وإنما أراد أن تقع يده في يد واثلة، ذلك لموضع يد واثلة من رسول اللَّه ﷺ فجعل يضعها مرة على صدره، ومرّة على وجهه، ومرّة على فيه، فقال له واثلة: ألا تخبرني عن شيء أسألك عنه، كيف ظنك باللَّه تبارك وتعالى؟ قال: أغرقتني ذنوبي لي إشفاف[1] على هلكة، ولكني أرجو رحمة ربي، فكبّر واثلة، وكبّر أهل البيت بتكبيره، وقال: اللَّه أكبر سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**قال اللَّه عز وجل: أنا عند ظن عبدي، فليظن بي ما يشاء**»[2].

● وعن المعتمر بن سليمان التيمي: قال أبي حين حضرته الوفاة: يا معتمر حدثني بالرّخص لعلي ألقى اللَّه وأنا حسن الظن به.

● وعن إبراهيم قال: كانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه.

● وقال عطاء بن السائب: دخلنا على أبي عبد الرحمن نعوده فذهب بعض القوم يرجّيه فقال: إني لأرجو ربي وقد صمت له ثمانين رمضان[3].

---

(١) في «حسن الظن»: «اعترتني ذنوبي، وأشفيت على هلكتي، ولكن أرجو رحمة ربي عز وجل». وأشفى على الهلاك: إذا أشرف عليه.

(٢) «الثبات عند الممات» (٦٨ ـ ٦٩)، و«حسن الظن» لابن أبي الدنيا.

(٣) «الثبات عند الممات» ص(٧٠).

٤ ـ ومن أسباب حسن الخاتمة الصدق:

قال اللَّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

الصدق أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين، من لم يكن معه الصدق فهو من المنقطعين الهالكين»، ومن كان معه الصدق أوصله إلى حضرة ذي الجلال وكان سببًا في حسن خاتمته وطيب المآل.

● عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «عمي أنس بن النضر ـ سُمِّيت به ـ لم يشهد بدرًا مع رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم، فكبُر عليه، فقال: أول مشهد قد شهده رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم، غبتُ عنه!! أما واللَّه، لئن أراني اللَّه مشهدًا مع رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم ليرينَّ اللَّه ما أصنع.

قال: فهاب أن يقول غيرها، فشهد مع رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم يوم أُحد، من العام المقبل، فاستقبله، فقال: يا أبا عمرو، إلى أين؟ قال: واهًا لريح الجنة!! أجدها دون أحد. فقاتل حتى قُتِل، فوُجد في جسده بضع وثمانون، من بين ضربة وطعنة ورمية. قالت عمتي الرُبيِّع بنت النضر: فما عرفتُ أخي إلا ببنانه، ونزلت هذه الآية: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[1] [الأحزاب: ٢٣].

فهذا الصادق الرباني يجد حلاوة العمل قبل الشروع فيه، يجد ريح الجنة قبل أن يقاتل.

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي في «جامعه» في كتاب التفسير، وقال: حسن صحيح. والنسائي في «الكبرى»، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» رقم (٢٥٥٧)، وهو عند البخاري مختصرًا، وعند مسلم أيضًا.

عن شداد بن الهاد ﷺ أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزوة غنم النبي ﷺ سبيًا فقسم وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه فقال: ما هذا؟ قالوا: قِسْمٌ قسمه لك النبي ﷺ فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ فقال: ما هذا؟ قال: «**قسمته لك**» قال: ما على هذا تبعتك، ولكن اتبعتك على أن أرمى ها هنا، وأشار إلى حلقه ـ بسهم فأدخل الجنة، فقال: «**إن تصدق اللَّه يصدقك**».

فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو، فأتى به النبي ﷺ يحمل قد أصابه السهم حيث أشار. فقال النبي ﷺ: «**أهو هو**»، قالوا: نعم: قال: «**صدق اللَّه فصدقه**».

ثم كفنه النبي ﷺ في جبة النبي ﷺ ثم قدمه فصلي عليه فكان فيما ظهر من صلاته: «**اللَّهم هذا عبدك خرج مهاجراً فقتل شهيداً، أنا شهيد على ذلك**»[١].

● وربعي بن حراش زعم قومه أنه لم يكذب قط.

عن الحارث الغنوي قال: «آلى ربعي بن حراش أن لا تفتر أسنانه ضاحكًا، حتى يعلم أين مصيره. قال الحارث: فأخبر الذي غسّله أنه لم يزل متبسمًا على سريره ونحن نغسله، حتى فرغنا منه ـ رحمة اللَّه عليه ـ»[٢].

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي، والحاكم في «المستدرك» عن شداد بن الهاد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٤١٥)، و«أحكام الجنائز» ص(٦١).

(٢) «تاريخ دمشق» (٦/١٠١) ب.

٥ ـ ومن أسباب حسن الخاتمة التوبة:

قال تعالى: ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [النور: ٣١].

روى البخاري، ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانًا، ثم خرج يسأل، فأتى راهبًا فسأله، فقال له: ألي توبة؟ قال: لا. فقتله، فجعل يسأل، فقال له رجل: ائْت قرية كذا وكذا، فأدركه الموت فنأى بصدره نحوها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى اللَّه إلى هذه: أن تقرّبي، وأوحى اللَّه إلى هذه: أن تباعدي، وقال: قيسوا ما بينهما. فوجداه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له**».

وفي حديث ماعز بن مالك لما جاء للنبي ﷺ تائبًا من الزنى، وقال: طهّرني وفي الحديث: «**لقد تاب توبة لو قُسِّمت بين أمة لوسعتهم**».

وفي حديث مسلم عن الغامدية قال رسول اللَّه ﷺ: «**فوالذي نفسي بيده، لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لَغُفِر له**».

قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يُغرغر**»[1].

٦ ـ ومن أسباب حسن الخاتمة الحذر من أسباب سوء الخاتمة:

وسنذكرها بالتفصيل فيما بعد وهي:

«١ ـ فساد المعتقد والتعبد بالبدع.

٢ ـ مخالفة الظاهر للباطن.

---

(١) رواه الترمذي، وأحمد، وابن ماجه، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسن غريب، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (٦١٦٠)، وحسّنه الألباني.

٣ ـ إلف المعاصي والإصرار عليها.

٤ ـ حب الدنيا.

٥ ـ العدول عن الاستقامة.

٦ ـ تعلق القلب بغير اللَّه عز وجل.

٧ ـ التسويف بالتوبة»[١].

٧ ـ ومن أسباب حسن الخاتمة: ذكر الموت ورؤية المحتضرين وتغسيل الموتى وزيارة القبور:

فذكر الموت ينغص اللذات ويحقّر الشهوات ويجعل الآخرة نصب العين، ومشاهدة المحتضرين والنظر إلى سكراتهم ونزعاتهم ومعالجتهم في طلوع الروح وشدة كربهم أعظم عبرة.

وتغسيل الموتى يرقّ به القلب وتذرف العينان، ورؤية القبور وسكونها تعجل بالتوبة فتكون سببًا لحسن الخاتمة.

علامات حسن الخاتمة

قال الشيخ الألباني في «أحكام الجنائز»[٢].

«إن الشارع الحكيم قد جعل علامات بينات يستدل بها على حسن الخاتمة، كتبها اللَّه تعالى لنا بفضله ومنه، فأيما امرئ مات بإحداها كانت بشارة له، ويا لها من بشارة.

---

(١) «تذكير النفوس المؤمنة» لشيخنا الدكتور أحمد فريد ص(٧٧).

(٢) سنذكر كلام الشيخ الألباني مختصرًا ونزيد عليه.

● **الأولى: نطقه بالشهادة عند الموت وفيه أحاديث:**

١ ـ «**من كان آخر كلامه لا إله إلا اللَّه دخل الجنة**»[١] .

٢ ـ وعن طلحة بن عبيد اللَّه ﷺ قال: «رأى عمر طلحة بن عبيد اللَّه ثقيلاً فقال: ما لك يا أبا فلان؟ لعلك ساءتك امرأة عمك يا أبا فلان؟ قال: لا [وأثنى على أبي بكر] إلا أني سمعت من رسول اللَّه ﷺ حديثًا ما منعني أن أسأله عنه إلا القدرة عليه حتى مات سمعته يقول: إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند موته إلا أشرق لها لونه، ونفس اللَّه عنه كربته، فقال عمر: إني لأعلم ما هي قال: وما هي؟ قال: تعلم كلمة أعظم من كلمة أمر بها عمه عند الموت: لا إله إلا اللَّه؟ قال طلحة: صدقت، هي واللَّه هي»[٢] .

● **الثانية: الموت برشح الجبين:**

لحديث بريدة بن الخطيب ﷺ: أنه كان بخرسان فعاد أخًا له وهو مريض فوجده بالموت، وإذا هو يعرق جبينه فقال اللَّه أكبر: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**موت المؤمن بعرق الجبين..**»[٣] .

● **الثالثة: الموت ليلة الجمعة أو نهارها:**

لقوله ﷺ: «**ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه اللَّه فتنة القبر...**»[٤] .

---

(١) رواه أبو داود (٣١٠٠ عون)، والحاكم (١/ ٣٥١)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي وحسنه الألباني في «الإرواء» رقم (٦٨٦).

(٢) رواه أحمد (١٣٨٤ شاكر)، والحاكم (١/ ٣٥٠، ٣٥١)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصحح إسناده أحمد شاكر.

(٣) رواه أحمد (٥/ ٣٥٧، ٣٦٠)، والنسائي (٤/ ٦)، والترمذي (٩٨٢)، وحسنه الحاكم (١/ ٣٦١)، وقال: صحيح على شرطهما، ووافقه الذهبي.

(٤) رواه أحمد (٦٥٨٢ شاكر)، والترمذي (١٠٧٤)، وقال: حسن غريب وضعفه أحمد =

● **الرابعة: الاستشهاد في ساعة القتال:**

قال تعالى: ﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧١].

وفي ذلك أحاديث:

١ ـ «**للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن الفزع الأكبر، ويحلى حلية الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويشفع في سبعين إنسانًا من أقاربه...**»[(١)] .

٢ ـ «وعن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد قال: «**كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنةً**»[(٢)] .

* * *

= شاكر وقال الألباني: وله شواهد عن أنس وجابر فالحديث بمجموع طرقه حسن، أو صحيح.

(١) رواه الترمذي (٧/ ١٦١) فضائل الجهاد، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وابن ماجه (٢٧٩٩) واللفظ له، وأحمد (٤/ ١٣١)، وصححه الألباني.

(٢) رواه النسائي (٤/ ٩٩) الجنائز، وقال الألباني: وسنده صحيح.

الموت بسبب من أسباب الشهادة غير القتل في سبيل اللَّه

* أشرف الميتات بعد القتل في سبيل اللَّه:

وأسباب الشهادة كثيرة غير القتل في سبيل اللَّه تعالى: وقد جمعنا منها خمسًا وعشرين سببًا صحيحًا يأخذ بها العبد أجر الشهيد.

الخامسة: الموت غازيًا في سبيل اللَّه:

لقوله ﷺ: «**ما تعدون الشهيد فيكم؟**»، قالوا: يا رسول اللَّه من قتل في سبيل اللَّه فهو شهيد. قال: «**إن شهداء أمتي إذا قليلٌ**»، قالوا: فمن هم يا رسول اللَّه؟ قال: «**من قتل في سبيل اللَّه فهو شهيدٌ، ومن مات في سبيل اللَّه فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، والغريق شهيد..**»[1].

وفي الباب عن عمر عند الحاكم والبيهقي.

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**من فَصَلَ - أي: خرج - في سبيل اللَّه فمات أو قتل فهو شهيد، أو وقصته فرسه، أو بعيره، أو لدغته هامة، أو مات على فراشه بأي حتف شاء اللَّه فإنه شهيد، وإن له الجنة**»[2].

السادسة: الموت بالطاعون:

● عن حفصة بنت سيرين قالت: قال لي أنس بن مالك: بم مات يحيى ابن أبي عمرة. قلت: بالطاعون، فقال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الطاعون**

---

(١) رواه مسلم (١٩١٥)، «الإمارة»، وأحمد (٢/ ٣١٠).

(٢) رواه أبو داود (٢٤٨٢ عون) «الجهاد»، والحاكم (٢/ ٧٨) «الجهاد»، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وحسنه والألباني.

شهادة لكل مسلم»[١] .

● وعن عائشة أنها سألت رسول اللَّه ﷺ عن الطاعون؟ فأخبرها نبي اللَّه ﷺ : **«أنه كان عذابًا يبعثه اللَّه على من يشاء، فجعله اللَّه رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابراً يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب اللَّه له إلا كان له مثل أجر الشهيد»**[٢] .

● يأتي الشهداء والمتوفون بالطعون فيقول أصحاب الطاعون: نحن شهداء. فيقال: انظروا فإن كانت جراحهم كجراح الشهداء تسيل دمًا ريح المسك فهم شهداء فيجدونهم كذلك»[٣] .

السابعة: الموت بداء البطن:

لقول رسول اللَّه ﷺ : «... **ومن مات في البطن فهو شهيد»**[٤] .

٢ ـ عن عبد اللَّه بن يسار قال: كنت جالسًا وسليمان بن صرد وخالد ابن عرفطة، فذكروا أن رجلاً توفي، مات ببطنه، فإذا هما يشتهيان أن يكونا شهداء جنازته فقال أحدهم للآخر ألم يقل رسول اللَّه ﷺ : **«من يقتله بطنه فلن يعذب في قبره»**.

فقال الآخر: بلى وفي رواية: «صدقت»[٥] .

الثامنة والتاسعة: الموت بالغرق والهدم:

لقوله ﷺ : **«الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغرق، وصاحب**

---

(١) رواه البخاري (١٠/ ١٩٠) «الطب»، وأحمد (٣/ ١٥٠، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٥٨).
(٢) رواه البخاري (١٠/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣) «الطب»، وأحمد (٦/ ٦٤، ٥٤١، ٢٥٢).
(٣) رواه أحمد (٤/ ١٨٥)، والطبراني في «الكبير»، وحسنه الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٢٠٥).
(٤) رواه مسلم (١٩١٥) «الإمارة»، وأحمد (٢/ ٣١٠).
(٥) رواه النسائي (٤/ ٩٨) «الجنائز»، وأحمد (٤/ ٢٦٢)، وقال الألباني: وسنده صحيح.

الهدم، والشهيد في سبيل اللَّه»[١].

العاشرة: موت المرأة في نفاسها بسبب ولدها:

● عن عبادة بن الصامت أن رسول اللَّه ﷺ عاد عبد اللَّه بن رواحة قال: فما تحوز له عن فراشه فقال: «أتدري من شهداء أُمَّتِي؟»، قالوا: قتل المسلم شهادة قال: «إن شهداء أمتي إذًا لقليل! قتل المسلم شهادة، والطاعون شهادة، والمرأة يقتلها ولدها جمعاء شهادة [يجرها ولدها بسرره إلى الجنة]»[٢].

الحادية عشر، والثانية عشر: الموت بالحرق وذات الجنب:

وفيه أحاديث أشهرها عن جابر بن عتيك مرفوعًا:

«الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل اللَّه: المطعون شهيد، والغرق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، والحرق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيدة»[٣].

الثالثة عشر: الموت بداء السِّل لقوله ﷺ:

«القتل في سبيل اللَّه شهادة، والنفساء شهادة، والحرق شهادة، والغرق شهادة، والسل شهادة، والبطن شهادة»[٤].

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٥٠) «الجهاد والسير»، ومسلم (١٩١٤) «الإمارة».

(٢) رواه أحمد (٤/ ٢٠١)، (٥/ ٣٢٣)، والدارمي (٢/ ٢٠٨)، وقال الألباني: وإسناده صحيح.

(٣) رواه مالك في «الموطأ» (١/ ٢٣٣، ٢٣٤) الجنائز، والنسائي (٤/ ١٣، ١٤) الجنائز، وأبو داود (٣٠٩٥ عون) الجنائز، وقال الألباني: ولست أشك في صحة متنه؛ لأن له شواهد كثيرة.

(٤) ذكره الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٣١٧)، وقال: رواه الطبراني في «الكبير»، وفيه مندل بن علي، وفيه كلام كثير وقد وثق، وقال الألباني: ويشهد له حديث راشد بن حبيش.

الرابعة عشر: الموت في سبيل الدفاع عن المال المراد غصبه:

وفيه أحاديث:

١ ـ «**من قتل دون ماله**» ـ وفي رواية: «**من أريد ماله بغير حق فقاتل فقتل فهو شهيد**»(١).

٢ ـ عن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول اللّه ﷺ فقال: يا رسول اللّه أرأيت إن جاء رجلٌ يريد أخذ مالي؟ قال: «**فلا تعطه مالك**». قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: «**قاتله**»، قال: أرأيت إن قتلني، قال: «**فأنت شهيد**»، قال: أرأيت إن قتلته؟، قال: «**هو في النار**»(٢).

٣ ـ عن مخارق ﷺ قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يأتيني فيريد مالي؟ قال: «**ذكِّرهُ باللّهِ**»، قال: فإن لم يذكر؟ قال: «**فاستعن عليه من حولك من المسلمين**». قال: فإن لم يكن حولي أحد من المسلمين؟ قال: «**فاستعن عليه السلطان**». قال: فإن نأى السلطان عني [وعجل علي؟] قال: «**قاتل دون مالك حتى تكون من شهداء الآخرة، أو تمنع مالك**»(٣).

الخامسة عشر والسادسة عشر والسابعة عشر: الموت في الدفاع عن الدين والنفس والأهل:

لقوله ﷺ: «**من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد**»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٥/ ١٤٧) للظالم، والنسائي (٧/ ١١٦) الجنائز.

(٢) رواه مسلم (١٤٠) الإيمان، والنسائي (٧/ ١١٤) الجنائز.

(٣) رواه النسائي (٧/ ١١٣ ـ ١١٤) «الأيمان والنذور»، وأحمد (٥/ ٢٩٤ و٢٩٥)، وقال الألباني: وسنده صحيح.

(٤) رواه أبو داود (٤٧٤٦ عون) السنة، والترمذي (١٤٢١) الديات، وقال: هذا حديث حسن =

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**من قتل دون مظلمته فهو شهيد**»[١] .

الثامنة عشر والتاسعة عشر والعشرون: من صُرِع عن دابته في سبيل اللَّه، ومن وقصه بعيره، ومن لدغته هامة وهو في سبيل اللَّه:

● عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**مَنْ صُرِع عن دابته فهو شهيد**»[٢] .

● عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من فصل في سبيل اللَّه فمات، أو قُتِل، أو وَقَصَتْه فرسُه أو بعيرُه، أو لدغتْه هامةٌ، أو مات على فراشه، بأيِّ حتْفٍ شاء اللَّه، فإنه شهيد، وإن له الجنة**»[٣] .

● قال المناوي في «فيض القدير» (٦/ ١٦٣):

« «**من صرع عن دابّته**» في سبيل اللَّه فمات «**فهو شهيد**» أي: من شهداء المعركة إن كان سقوطه بسبب القتال، وعلى ذلك ترجم البخاري (باب فضل من صُرِع في سبيل اللَّه فمات فهو منهم)، أي: من المجاهدين، فلمّا كان الحديث ليس على شرطه، أشار إليه بالترجمة، وفي الباب ما رواه أبو داود، والحاكم، والطبراني عن أبي مالك الأشعري مرفوعًا. والصرع، كما في القاموس وغيره: الطَّرْح على الأرض، وعلةٌ معروفة، والمراد: بالحديث

= صحيح، والنسائي (٧/ ١١٦) الأيمان والنذور، وأحمد (١٦٢٨ شاكر)، وقال العلامة أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(١) رواه النسائي (٧/ ١١٧) الأيمان والنذور، وأحمد (٢٧٨٠ شاكر)، وقال العلامة أحمد شاكر: إسناده صحيح وهو في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٤٤)، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٣٣٦).

(٣) **حسن**: رواه أبو داود والحاكم وصححه، وحسنه ابن حجر، والألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٤١٣).

السقوط عن الدابة حال قتال الكفار بسبب أي وجه كان؛ إمّا بطرح الدابة له، أو بعروض تلك العلّة في تلك الحالة عروضًا ناشئًا عن القتال، كأن أورثه شدّة الانفعال».

الحادية والعشرون: المائد في البحر: فيموت بسبب دوار البحر فله أجر شهيد.

● عن أم حرام ﵂، قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**للمائِد أجرُ شهيدٍ، وللغريقِ أجرُ شهيدين**»[1].

● وعن أم حرام ﵂ قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**المائدُ في البحر الذي يُصيبه القيءُ له أجرُ شهيدٍ، والغريق له أجر شهيدين**»[2].

الثانية والعشرون: الشَّريق:

قال ابن الأثير في «النهاية»: هو الذي يشرق بالماء فيموت.

قال ابن حجر في «الفتح» (٦/ ٥٢): «وللطبراني من حديث ابن عباس مرفوعًا: «**المرء يموت على فراشه في سبيل اللَّه شهيد**». وقال ذلك أيضًا في المبطون واللديغ والغريق والشريق والذي يفترسه السبع، والخارّ عن دابته، وصاحب الهدم، وذات الجنب».

الثالثة والعشرون: من تردّى من رؤوس الجبال:

من تَرَدَّى من رؤوس الجبال:

● عن ابن مسعود ﵁ قال: «إن من يتردى من رؤوس الجبال، وتأكله

---

(١) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» عن أم حرام، ورواه أبو داود، والحميدي وابن معين، والدولابي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥١٨٧).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٦٤٢).

السباع ويغرق في البحار، لشهيدٌ عند اللَّه»[١] .

الرابعة والعشرون: من افترسه السبع:

• عن ابن قانع، عن ربيع الأنصاري ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**الطَّعْن والطاعون والهدم، وأكل السبع، والغرق، والحرق، والبطن، وذات الجنب ـ شهادةٌ**»[٢] .

الخامسة والعشرون: من قام إلى إمام جائر، فأمره بمعروف فقتله:

قال رسول اللَّه ﷺ : «**سيِّدُ الشهداء: حمزة بن عبد المطلب، ورجلٌ قام إلى إمامٍ جائرٍ، فأمره ونهاه. فقتله**»[٣]

السادسة والعشرون: من سأل الشهادة بصدق ومات على ذلك:

• عن أنس ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**مَنْ طَلَبَ الشهادة صادقًا، أُعطيها ولو لم تُصبهُ**»[٤] .

• وعن سهل بن حنيف ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**من سأل**

---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه عبد الرزاق في «المصنف»، كتاب الجهاد، باب في الشهادة (٥/ ٢٦٩)، موقوفًا بإسناد صحيح، والطبراني في «معجمه». قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٥٢): إسناده صحيح، وأخرجه سعيد بن منصور في «سننه».

(٢) **صحيح**: قال الألباني: «أورده المنذري في «الترغيب والترهيب»، والهيثمي من رواية الطبراني دون قوله: «أكل السبع»، وجعل مكانه: «والنفساء بجمع شهادة». وقالا: ورجالهم محتج بهم في «الصحيح». وفقرة السبع لم أجد لها شاهدًا إلا من قول ابن مسعود موقوفًا عليه».

(٣) **حسن**: رواه الحاكم، والضياء عن جابر، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٦٧٥).

(٤) رواه أحمد في «مسنده»، ومسلم.

اللَّه الشهادة بصدق، بلَّغه اللَّه منازل الشهداء، وإن مات على فراشه»[١] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «**مَنْ سأل اللَّه القتل في سبيل اللَّه، صادقًا من قلبه، أعطاه اللَّه أجر شهيد، وإن مات على فراشه**»[٢] .

السابعة والعشرون: الدعوة إلى السنة في وقت الفتن والموت عليها:

● عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**إن من ورائكم زمانَ صبرٍ، للمتمسك فيه أجرُ خمسين شهيدًا منكم**»[٣] .

● وعن عتبة بن غزوان، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن من ورائكم أيامَ الصبر، للمتمسك فيهنَّ يومئذ بما أنتم عليه، أجرُ خمسين منكم**». قالوا: يا نبي اللَّه، أو منهم؟ قال: «**بل منكم**»[٤] .

الثامنة والعشرون: رباط يوم وليلة:

● لقوله ﷺ : «**الرباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجرى عليه رزقه، وأمن الفتان**»[٥] .

● ولقوله ﷺ : «**كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطًا في سبيل**

---

(١) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي، وأحمد، وابن حبان، والحاكم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والدارمي عن معاذ، ورواه الحاكم عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٢٧٧).

(٣) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود. قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ٢٦٨): «إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم». وصححه في «صحيح الجامع» رقم (٢٢٣٤).

(٤) **صحيح**: صححه الألباني بشواهده في «الصحيحة» رقم (٤٩٤) (١/ ٢٦٨).

(٥) رواه مسلم (١٩١٣) الإمارة، والترمذي (١٦٦٥) فضائل الجهاد، والنسائي (٦/ ٣٩) الجهاد.

اللَّه، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن فتنة القبر»[١] .

التاسعة والعشرون: الموت على عمل صالح:

● لقوله ﷺ : **«من قال لا إله إلا اللَّه ابتغاء وجه اللَّه ختم له بها دخل الجنة، ومن صام يومًا ابتغاء وجه اللَّه ختم له بها دخل الجنة، ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه اللَّه ختم له بها دخل الجنة»**[٢] .

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا اللَّه وأنك رسول اللَّه، وصليتُ الصلوات الخمس، وأديتُ الزكاة، وصُمت رمضان وقُمتُه، فممن أنا؟ قال: **«من الصديقين والشهداء»**[٣] .

ولفظ ابن خزيمة: جاء رسول اللَّه ﷺ رجلٌ من قضاعة فقال له: إن شهدتُ أن لا إله إلا اللَّه وأنك رسول اللَّه، وصليتُ الصلوات، وصمت الشهر، وقمتُ رمضان، وآتيت الزكاة؟ فقال النبي ﷺ : **«من مات على هذا كان من الصديقين والشهداء»** .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : **«من خُتم له بصيام يوم دخل الجنة»**[٤] .

أي مات بعد صومه أو عند إفطاره عقب صومه.

---

(١) رواه أبو داود (٢٤٨٣ عون) الجهاد، والترمذي (١٦٢١) فضائل الجهاد، وقال: حديث صحيح، والحاكم (٢/ ١٤٤)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وأحمد (٦/ ٢٠).

(٢) رواه أحمد (٥/ ٣٩١) قال الألباني: وإسناده صحيح، وقال المنذري: لا بأس به.

(٣) **صحيح**: رواه البزار، وابن خزيمة، وابن حبان في «صحيحيهما»، واللفظ لابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٩٩٣).

والتعليق على ابن خزيمة رقم (٢٢١٢). وعلى هذا الحديث يكون سببًا من أسباب الشهادة.

(٤) رواه البزار عن حذيفة، وكذا رواه أحمد، وابن شاهين، وابن بشران، وأبو نعيم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٢٢٤).

● وقال رسول الله ﷺ :

«إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله»، قيل: كيف يستعمله؟ قال: «يفتح له عملاً صالحًا بين يديْ موته حتى يرضى عليه من حوله»[1] .

● وقال رسول الله ﷺ :

«إذا أراد الله بعبد خيراً طهّره قبل موته»، قالوا: وما طهور العبد؟ قال: «عمل صالح يلهمه إيّاه حتى يقبضه عليه»[2]

● وقال رسول الله ﷺ :

«إذا أراد الله بعبد خيراً عسله»، قيل: وما عسله؟ قال: «يفتح له عملاً صالحًا قبل موته، ثم يقبضه عليه»[3] .

● وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :

«إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله»، قيل: كيف يستعمله؟ قال: «يوفقه لعمل صالح قبل الموت، ثم يقبضه عليه»[4] .

* * *

(١) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده»، والحاكم في «المستدرك» عن عمرو بن الحمق وكذا رواه البخاري في «التاريخ»، وابن حبان، والطحاوي، وابن أبي عاصم في «السنة»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٠٤).

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٠٦).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده»، والطبراني في «الكبير» عن أبي عتبة، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١١١٤)، و«صحيح الجامع» رقم (٣٠٧).

(٤) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده»، والترمذي، وابن حبان، والحاكم عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٠٥).

* الموت بالمدينة المنورة:

● عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإني أشفع لمن يموت بها»(١).

* أسباب سوء الخاتمة:

● قال ابن رجب: «قد خُذِل خلْق كثير عند الموت، فمنهم من أتاه الخذلان من أول مرضه، فلم يستدرك قبيحًا مضى، وربما أضاف إليه جورًا في وصيته، ومنهم من فاجأه الخذلان في ساعة اشتداد الأمر، فمنهم من كفر، ومنهم من اعترض وتسخط، نعوذ بالله من الخذلان.

وهذا معنى سوء الخاتمة، وهو أن يغلب على القلب عند الموت الشك، أو الجحود فتقبض النفس على تلك الحالة، ودون ذلك أن يتسخط الأقدار»(٢).

● قال الشيخ صديق حسن خان: سوء الخاتمة على رتبتين:

إحداهما: أعظم من الأخرى، فأما الرتبة العظيمة الهائلة فهي أن يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور أهواله إما الشك وإما الجحود، فتقبض الروح على تلك الحالة، فتكون حجابًا بينه وبين الله تعالى أبدًا. وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد.

والثانية وهي دونها: أن يغلب على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا، أو شهوة من شهواتها، فيتمثل ذلك في قلبه، ويستغرقه حتى لا يبقى

---

(١) **صحيح:** رواه أحمد في «مسنده»، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٨٥٤).

(٢) «الثبات عند الممات» لابن الجوزي ص(٧٨).

في تلك الحالة متسع لغيره، فمهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا فالأمر مخطر؛ لأن المرء يموت على ما عاش عليه، وعند ذلك تعظم الحسرة، إلا أن أصل الإيمان وحب اللَّه تعالى إذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة، وتأكد ذلك بالأعمال الصالحة، يمحو عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت، فإذا كان إيمانه في القوة إلى حد مثقال، أخرجه من النار في زمان أقرب، وإن كان أقل من ذلك طال مكثه في النار.

ولكن لو لم يكن إلا مثقال حبة فلا بد وأن يخرجه من النار، ولو بعد آلاف السنين. وكل من اعتقد في اللَّه تعالى وفي صفاته وأفعاله شيئًا على خلاف ما هو به إما تقليدًا وإما نظرًا بالرأي والمعقول، فهو في هذا الخطر، والزهد والصلاح لا يكفي لدفع هذا الخطر، بل لا ينجي منه إلا الاعتقاد الحق، على وفق الكتاب العزيز والسنة المطهرة، والبُلْهُ بمعزل عن هذا الخطر[1].

١ ـ فساد المعتقد والتعبد بالبدع حتى الموت:

«فإن أهل البدع هم أكثر الناس شكًّا واضطرابًا عند الموت، وذلك لسوء معتقدهم وفساد قلوبهم، ومرضها بالشبهات والشكوك، وقد يظهر لهم من معاينة أمور الآخرة عند الموت ما يظهر فساد معتقدهم، وسوء منقلبهم، فيدفعهم ذلك إلى اليأس والقنوط، فأهل السنة هم أكثر الناس ثباتًا على أقوالهم ومعتقداتهم فالثبات على الحق هو سيما أهل الحق، قال هرقل لأبي سفيان بن حرب، سائلاً عن أصحاب رسول اللَّه ﷺ ورضي الله عنهم هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطةً له؟: قال: لا. قال كذلك

(١) «يقظة أولي الاعتبار» لصديق حسن خان ص(٢١٦).

الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب. فأهل السنة والجماعة هم أعظم الناس صبرًا وثباتًا على أقوالهم ومعتقداتهم وأهل البدع هم أكثر الناس شكًّا واضطرابًا في الحياة وعند الممات»[(١)] .

● **قال العلامة صديق حسن خان في أسباب سوء الخاتمة:**

منها الفساد في الاعتقاد، وإن كان مع كمال الزهد والصلاح، فإن كان له فساد في اعتقاده مع كونه قاطعًا به، متيقنًا له غير ظانٍ أنه أخطأ فيه، قد ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده من الاعتقادات الحقة مثل هذا الاعتقاد باطل لا أصل له، إن لم يكن عنده فرق بين اعتقاد واعتقاد، فيكون انكشاف بطلان بعض اعتقاداته سببًا لزوال بقية اعتقاداته، فإن خروج روحه في هذه الحالة قبل أن يتدارك ويعود إلى أصل الإيمان يختم له بالسوء، ويخرج من الدنيا بغير إيمان، فيكون من الذين قال اللَّه عز وجل فيهم: ﴿**وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ**﴾ [الزمر: ٤٧].

وقال في آية أخرى: ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٤].

فإن كلَّ من اعتقد شيئًا على خلاف ما هو عليه إما نظرًا برأيه وعقله، أو أخذًا ممن هذا حاله، فهو واقع في هذا الخطر، ولا ينفعه الزهد والصلاح، وإنما ينفعه الاعتقاد الصحيح المطابق لكتاب اللَّه وسنة رسوله؛ لأن العقائد الدينية لا يعتد بها إلا ما أخذت منها[(٢)] .

---

(١) «تذكير النفس المؤمنة» ص(٢٧ ـ ٢٨).

(٢) «يقظة أولي الاعتبار» لصديق حسن خان (٢٠٥) طبع دار الفتح تحقيق د. أسامة عبد العظيم.

«وكم ختم لكثير من البشر بالسوء بسبب ما ابتدعوا في دين اللَّه عز وجل، وزاغوا وانحرفوا عن صراطه المستقيم، وظهرت حقيقتهم في أول لقائهم مع رب العالمين.

فهذا ابن الفارض عمر بن علي الحموي (المتوفي سنة ٦٣٢هـ) والذي كان ينفق بالاتحاد، ويقول بحلول اللَّه جل وعلا في مخلوقاته، وأن الرب عبدٌ والعبد رب، عندما احتضر نظم بيتين من الشعر وهو في تلك الحالة يعبر فيها عن شقوته وعن هلاكه، يبكي ويقول:

إن كانَ منزلتي في الحب عندكُمُ ... ما قد رأيتُ فقد ضيعتُ أيَّامِي

أَمنيةٌ ظفرت نفسي بها زَمَنًا ... واليومَ أحسَبُهَا أضغاثُ أحَلام[1]

وانظر إلى حال الحلاج وخاتمته ففيها أكبر العظات.

قال في الطواسين:

ألا أبلغ أحبائي بأني ... ركبت البحر وانكسر السفينة

على دين الصليب يكون موتي ... فلا البطحا أريد ولا المدينة

وانظر إلى هذا الزنديق القائل: «أبرأ إليك مما وحّدك به الموحدون».

قال الذهبي: هذا عين الزندقة.

وانظر إلى رأس أهل الحلول والاتحاد الحلاج: الكفر والإيمان يفترقان من حيث الاسم، فأما من حيث الحقيقة فلا فرق بينهما.

وعن جندب بن زاذان تلميذ الحلاج قال: كتب الحسين إليّ: ستر اللَّه عنك ظاهر الشريعة، وكشف لك حقيقة الكفر، فإن ظاهر الشريعة كفر،

(١) «تذكير النفس المؤمنة» ص(٢٨).

وحقيقة معرفة جلية»[١] .

فلما جاءه الموت:

«قال الخطيب قال لنا أبو عمر بن حيوية: لما أُخرج الحسين بن منصور الحلاّج ليُقتل مضيت في جملة الناس، ولم أزل أزاحم عليه حتى رأيته، فدنوت منه، فقال لأصحابه: لا يهولنكم هذا الأمر، فإني عائد إليكم بعد ثلاثين يومًا، ثم قُتل فما عاد.

قال الذهبي: هذه حكاية صحيحة توضح لك أن الحلاج ممخرق كذّاب حتى عند قتله»[٢]

● وابن الفارض شيخ الاتحادية وصاحب التائية. . .

قال ابن حجر عنه: «ينعق بالاتحاد الصريح في شعره»[٣] .

وقال ابن حجر: «وكنت سألت شيخنا سراج الدين البلقيني عن ابن عربي، فبادر بالجواب بأنه كافر، فسألته عن ابن الفارض فقال: لا أحب أن أتكلم فيه. قلت: فما الفرق بينهما والموضع واحد؟ وأنشدته من التائية، فقطع عليّ بعد إنشاد عدة أبيات بقوله: هذا كفر، هذا كفر»[٤] .

● ابن الفارض الذي يكذب على رسول اللَّه ﷺ، ويقول: إنه رآه منامًا وأنه سأل ابن الفارض عن قصيدته التائية، ما سمّاها؟ فأجابه بأنه سمّاها: لوائح الجَنان وروائح الجنان. فقال له النبي ﷺ: لا، بل سمِّها:

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٤/ ٣٥٢ ـ ٣٥٤).

(٢) «السير» (١٤/ ٣٤٦).

(٣) «لسان الميزان» (٤/ ٣١٧ ـ ٣١٩).

(٤) «لسان الميزان» لابن حجر (٤/ ٣١٧ ـ ٣١٩).

نظم السلوك»[١] . فماذا كان منه عند الموت.

عند موته تأوّه، وصرخ صرخة عظيمة، وبكى بكاء شديدًا، وتغيّر لونه وقال:

إن كانَ منزلتي في الحب عندكُمُ ما قد رأيتُ فقد ضيعتُ أيّامي
أَمنيةٌ ظفرت نفسي بها زَمَنًا واليومَ أحسَبُهَا أضغاثُ أحلام

٢ ـ ومن أسباب سوء الخاتمة: مخالفة الباطن للظاهر:

«فقد يكون العبد بظاهره يعمل بطاعة اللَّه عز وجل، ولكنه يبطن النفاق أو الرياء، أو يكون في قلبه دسيسة من دسائس السوء كالكبر أو العجب، فيظهر ذلك عليه في آخر عمره، ويختم له به فتكون الخسارة الأبدية والهلاك الأخروي، كما في قصة الذي كان يقاتل مع رسول اللَّه ﷺ ويبلي أحسن البلاء، ولكنه لم يكن ذلك للَّه عز وجل، أو من أجل أن تكون كلمة اللَّه هي العليا، فلما جرح استعجل الموت فانتحر، فقال النبي ﷺ : «**إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار**»[٢] .

فقوله ﷺ : «**فيما يبدو للناس**» يدل على أن باطنه خلاف ظاهره، ولا يمكن أن تسوء خاتمة من صلح ظاهره وباطنه واللَّه أعلم.

● قال الحافظ ابن الجوزي: واسم الرجل قزمان، وكان قد تخلف عن المسلمين يوم أحد، فَعَيَّرَه النساء، فخرج حتى صار في الصف الأول، فكان أول من رمى بسهم، ثم صار إلى السيف ففعل العجائب، فلما انكشف المسلمون كسر جفن سيفه، وجعل يقول: الموت أحسن من الفرار، فمر به

---

(١) «ديباجة الديوان» ص(٦ ـ ٧).

(٢) رواه البخاري (٧/٥٣٨) المغازي.

قتادة بن النعمان، فقال له: هنيئًا لك بالشهادة فقال: واللَّه ما قاتلت على دين، وإنما قاتلت على حسب قومي، ثم أقلقته الجراحة فقتل نفسه»[(١)] .

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «شهدنا خيبر، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم لرجل ممن معه يدعي الإسلام: «**هذا من أهل النار**»، فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال، حتى كثرت به الجراحة، فكاد بعض الناس يرتاب، فوجد الرجل ألم الجراحة فأهوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها أسهمًا فنحر بها نفسه، فاشتد رجال من المسلمين فقالوا: يا رسول اللَّه صَدَّق اللَّهُ حديثك، انتحر فلان فقتل نفسه. فقال: «**قم يا فلان فأذِّن أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، إنَّ اللَّه يؤيد الدينَ بالرجل الفاجر**»[(٢)] .

وعلى كل حال، إن قلنا إن القصة واحدة أو متعددة، فهي شاهدة لما أشرنا إليه من أن من أسباب سوء الخاتمة اختلاف الظاهر والباطن، سواءٌ كان بنفاقٍ أكبر، والعياذ باللَّه أو الرياء والسمعة»[(٣)] .

● نعوذ باللَّه من الحور بعد الكور:

فهذا عبد اللَّه القصيمي الذي نال من العلم كثيرًا وبرع فيه وخاصة علم العقيدة وأثنى عليه معاصروه وجرّد قلمه في الرد على مخالفي أهل السنة والجماعة، فردّ على الدجوي في كتابه «البيارق النجدية»، وألف كتابه «الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم»، وله كتاب عن الوثنية يقال إنه من أروع ما كُتب في هذا المجال.

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٥٣٩).

(٢) رواه البخاري (٧/ ٥٣٩) المغازي.

(٣) «تذكير النفس المؤمنة» ص(٣١).

قال عنه معاصروه: إننا لم نره قط إلا وقد تأبّط كتابًا وكان مولعًا بقراءة «صحيح البخاري».

ولكن هذا الرجل كانت به آفة تنخر به ولم يوقف جماحها وهي تحقير الآخرين، والثناء على النفس وتزكيتها، والحسد لمن قبله من أنداده من أهل العلم وقرناءه. وجميع هذه النقاط يجمعها الغرور والإعجاب بالنفس يقول:

فما أنا إلا الشمس في غير برجها وما أنا إلا الدر في لجج البحر

فكيف أصبح من جلسائه أصحاب الكفر والغانية والكأس، بل وألف كتابًا يستهزئ بالتوحيد وأهله فتصدى له بعض أهل العلم والفضل وكشف زيغه، وردّ ضلالته»[1].

٣ ـ ومن أسباب سوء الخاتمة:

• «قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ: ومن عقوباتها (أي: الذنوب والمعاصي) أنها تخون العبد أحوج ما يكون إلى نفسه، فإن كل أحدٍ يحتاج إلى معرفة ما ينفعه وما يضره في معاشه ومعاده.

إلى أن قال: هذا وثَمَّ أمرٌ أخوف من ذلك وأدهى منه وأمر، وهو أن يخونه قلبه ولسانه عند الاحتضار، والانتقال إلى اللَّه، فربما تعذر عليه النطق بالشهادة، كما شاهد الناس كثيرًا من المحتضرين أصابهم ذلك حتى قيل لبعضهم: قل: لا إله إلا اللَّه.

فقال: آه آه لا أستطيع أن أقولها.

وقيل لآخر: قل: لا إله إلا اللَّه فقال: شاه رخّ[2] غلبتك ثم قضى.

---

(١) «من آخبار المنتكسين» لصالح بن مقبل العصيمي ص(٢٣٠ ـ ٢٣٣) ـ دار ابن خزيمة.

(٢) اسم لأحجار الشطرنج.

وقيل لآخر: قل: لا إله إلا اللَّه فقال:

يا رب قائلة يومًا وقد تعبت كيف الطريق إلى حَمَّام منجابِ

ثم قضى.

وقيل لآخر: قل: لا إله إلا اللَّه فجعل يهذي بالغناء ويقول: تاتنا تنتنا حتى مات.

وقيل لآخر ذلك فقال: ما ينفعني ما تقول ولم أدع معصية إلا ركبتها؟ ثم مات ولم يقلها.

وقيل لآخر ذلك فقال: ما يغني عني وما أعرف أني صليتُ للَّهِ صلاةً؟ ولم يقلها.

وقيل لآخر ذلك فقال: أنا كافر بما تقول ولم يقلها وقضى.

وقيل لآخر ذلك فقال: كلما أردت أن أقولها ولساني يمسك عنها[1].

● وقال الذهبي: ما من ميت يموت إلا مثل له جلساؤه الذين كان يجالسهم، فاحتضر رجل ممن كان يلعب بالشطرنج فقيل له: قل لا إله إلا اللَّه، فقال: شاهك ثم مات. فغلب على لسانه ما كان يعتاده حال حياته في اللعب، فقال عوض كلمة التوحيد: شاهك وهذا كما جاء في إنسان آخر ممن كان يجالس شراب الخمر، أنه حين حضره الموت فجاءه إنسان يلقنه الشهادة، فقال له: اشرب واسقني ثم مات.

فلا حول ولا قوة إلا باللَّه[2].

---

(١) «الداء والدواء» (١٤١ ـ ١٤٣).

(٢) «الكبائر» للذهبي.

• قال الشيخ صديق حسن خان: «فطول الإلف بالمعاصي يقتضي تذكرها عند الموت، وعودها في القلب وتمثلها فيه، وميل النفس إليها وإن قبض روحه في تلك الحالة يختم له بالسوء[1] .

• عن عبد العزيز بن أبي رواد قال:

«حضرت رجلاً عند الموت يلقن الشهادة لا إله إلا اللَّه فقال في آخر ما قال: هو كافر بما تقول، ومات على ذلك قال: فسألت عنه فإذا هو مدمنُ خمرٍ. وكان عبد العزيز يقول: «اتقوا الذنوب فإنها هي التي أوقعته»[2] .

• وقال الربيع بن مرة: وقيل لرجل ها هنا بالبصرة: يا فلان، قل: لا إله إلا اللَّه فجعَلَ يقول:

يا ربَّ قائلة يومًا وقد لغبت أين الطريقُ إلى حمام منجابِ

• قال الفقيه أبو بكر أحمد بن سليمان بن الحسن النجاد: هذا رجل قد استدلته امرأة إلى الحمام فدلها إلى منزله، فقاله عند الموت.

وذكر أبو محمد عبد الحق هذه الحكاية في كتاب «العاقبة» له فقال:

هذا الكلام له قصة وذلك أن رجلاً كان واقفًا بإزاء داره، وكان يشبه باب حمام، فمرت به جارية لها منظر وهي تقول: أين الطريق إلى حمام منجاب فقال لها: هذا حمام منجاب وأشار إلى داره، فدخلت الدار ودخل وراءها، فلما رأت نفسها معه في داره وليس بحمام علمت أنه خدعها، أظهرت له البشر والفرح باجتماعها معه على تلك الخلوة، وفي تلك الدار. وقالت له: يصلح «أن يكون» معنا ما نطيب به عيشنا وتقر به أعيننا، فقال لها: الساعة

(١) «يقظة أولي الاعتبار» ص(٢٠٥ ـ ٢٠٦).

(٢) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ١٧٣) طبع الرسالة.

آتيك بكل ما تريدين، وبكل ما تشتهين، فخرج وتركها في الدار ولم يقفلها، وتركها محلولة على حالها ومضى، فأخذ ما يصلح لهما ورجع ودخل الدار فوجدها قد خرجت وذهبت، ولم يجد لها أثرًا، فهام الرجل بها، وأكثر الذكر لها. والجزع عليها وجعل يمشي في الطرق والأزقة وهو يقول:

يا ربَّ قائلة يومًا وقد لغبت   أين الطريقُ إلى حمام منجابِ

وإذا بجارية تجاوبه من طاق وهي تقول:

هَلاَّ جَعَلْتَ لَمَّا ظفرتَ بِهَا   حِرزًا على الدارِ أَوْ قُفْلاً عَلَى الباب

فزاد هيمانه، واشتد هيجانه، ولم يزل كذلك حتى كان من أمره ما ذكر، فنعوذ بالله من المحن والفتن[1] .

● وهذه بعض القصص المعاصرة، والعبر المتأخرة نسوقها للعبرة والعظة، ومن لم يعتبر بغيره كان عبرة لغيره والسعيد من اعتبر بغيره، والشقي من اعتبر بنفسه.

● شخصية كويتية دائمة السفر إلى بلاد جنوب شرق آسيا كل صيف وبالأخص إلى دولة «تايلاند» فقد كان صاحب القصة متزوجًا ولديه أطفال وعمره لم يناهز الثلاثين عامًا، إلا أنه ما زال على عادته القديمة لا يفكر إلا في شهوته وملذاته سواء أكانت في الحلال أم في الحرام. لقد سافر من دولة الكويت ووجهه أبيض من بياض البيض، وكله شباب وقوة، وفي إحدى الليالي الساهرة هناك تعرّف على راقصة عاهرة فرافقها إلى إحدى الشقق، وكان بانتظاره «ملك الموت»، فما إن قرب منها وجاءت اللحظة الحاسمة. . . نادى المنادي: الرحيل. . . الرحيل. . فقبضه ملك الموت، ورجع إلى بلده

---

(١) «التذكرة» (١٠٣ ـ ١٠٤).

محملاً بالتابوت، وفُتح التابوت، وإذا بالمفاجأة الكبرى... وهي أن وجهه أصبح لونه أسود من سواد القار»[1].

● **وقصة أخرى: لفاجر يسجد لراقصة:**

«فتى سافر إلى «بانكوك» وتعرّف على فتاة بغيّ هناك، وأصبح يعاشرها كما يعاشر الرجل زوجته يتلذذ بمنظرها، ويستأنس بحديثها لا يحتمل فراقها ولا يستغني عنها، وفي إحدى الأيام تأخرت فاجرته عن القدوم إليه، فطار صوابه وعاش ساعات حرجة وأوقات صعبة حتى قدمت إليه، فزال حزنه وانفرج همه، واستقبلها استقبالاً خططت له الشياطين طويلاً ونجحت في نهايته... لقد عبّر لها عن مقدار فرحته بقدومها بأن جعلها إلهًا له فخرّ لها ساجدًا... ولكن كانت السجدة الأخيرة»[2].

● حصل حادث مروع في طريق مكة إلى جدة، قال من حضر المشهد: فلما رأينا منظر السيارة ومشهدها الخارجي قلت أنا ومن معي من الإخوة: ننزل فننظر ما حال هذا الإنسان، وكيف أصبح، فلما اقتربنا من الرجل وجدناه في النزع الأخير من حياته، ووجدنا مسجل السيارة مفتوحًا على أغانٍ غربية باطلة، فأغلقنا المسجل، ثم نظرنا إلى الرجل وما يعانيه من سكرات الموت. فقلنا: هذه فرصة لعل اللَّه عز وجل أن يجعل على أيدينا فلاح هذا الرجل في دنياه وآخرته، فأخذنا نقول له: يا هذا قل: لا إله إلا اللَّه.

أتدري أخي ـ بماذا تكلم في آخر رمق من حياته؟

ليته ما نطق. لقد قال كلمة رهيبة عظيمة:

---

(١) «الوقت عمار أو دمار» لجاسم محمد بدر المطوع (٢/ ٨٦ ـ ٨٧) ـ دار الدعوة.

(٢) «أخبار المنتكسين» ص(٢٦ ـ ٢٧). رواها الشيخ سعد البريك.

لقد قال عياذًا باللَّه تعالى من ذلك ـ بكلمته العامية فسبَّ دين اللَّه عز وجل، ثم قال: ما بدي أصلي ولا بدي أصوم، ثم مات على ذلك»[١] .

● وهذه قصة أربعة من الشباب كلما سمعوا ببلد يفعَلُ فيها الفجور طاروا إليها. فبينما هم في ليلة من الليالي وفي ساعة متأخرة من الليل يجاهرون اللَّه عز وجل بالمعصية والفجور، بينما هم في غمرة اللهو والمجون إذا بأحد الأربعة يسقط مغشيًّا عليه، فيهرع إليه أصحابه الثلاثة، فيقول له أحدهم يا أخي قل: لا إله إلا اللَّه فيرد الشاب ـ عياذًا باللَّه ـ إليك عني زدني كأس الخمر، وتعالي يا فلانة، ثم فاضت روحه إلى اللَّه، وهو على تلك الحال السيئة، نسأل اللَّه السلامة والعافية.

ثم كان حال الثلاثة الأخرين لما رأوا صاحبهم وما آل إليه أمره أنهم أخذوا يبكون، وخرجوا من المرقص تائبين، وجهزوا صاحبهم وعادوا به إلى بلاده، ولما وصلوا المطار فتحوا التابوت ليتأكدوا من جثته، فلما نظروا إلى وجهه فإذا عليه كدرة وسواد عياذًا باللَّه[٢] .

● وهذه قصة حكاها لي أحد إخواننا الأفاضل: سيارة على الطريق الصحراوي من الأسكندرية إلى القاهرة، في المقعد الأمامي شاب وفتاة، تصدر منهما الحركات غير اللائقة والكلمات الفاسقة المستهترة، والسيارة تسير بسرعة جنونية، وفي لحظات معدودة ارتطمت السيارة بحاجز حديدي فخرج من شاهد الحادث من أجل إسعاف من بالسيارة، فإذا بالفتاة قد فارقت الحياة على هذه النهاية المأسوية، وإذا بوجهها يسود في لحظات، وإذا بالشاب يرغي ويزبد، ثم فارق الحياة كذلك على هذه النهاية المحزنة والخاتمة السيئة، نسأل

---

(١) «رسالة عاجلة إلى المسلمين» (٤٦ ـ ٤٧) بتصرف.

(٢) المصدر السابق باختصار (٥٤ ـ ٥٥).

اللَّه العافية.

● وهذه قصة ثلاثة من الأصدقاء يجمع بـينهم الطيش والعبث والمجون، كانوا يستدرجون الفتيات الساذجات بالكلام المعسول، ثم ينقلبون إلى ذئاب لا ترحم توسلاتهن.

● يقول الراوي: ذهبنا كالمعتاد للمزرعة، وكان كل شيءٍ جاهزًا، الفريسة لكل واحـد منَّا، الشراب الملـعون، شيء واحد نسـيناه، وهو الطعـام، وبعد قليل ذهب أحدنا لشراء العشاء بسيارته، وكـانت الساعة السادسة تقريبًا عندما انطـلق، ومرت الـساعـات دون أن يعود، وفـي العاشـرة شعـرت بالقـلق، فانطلقت بسيـارتي أبحث عنه، وفي الطريق شاهدت بعض ألـسنة النار تندلع على جانب الطريق.

وعندما وصـلت فوجئت بأنـها سيارة صديقـي، والنار تلتهـمها، وهي مقلـوبة على أحد جـانبيها، أسـرعت كالمجنـون أحاول إخراجه من الـسيارة المشتعلة، وذهلـت عندما وجدت نصف جسده قد تفحم تمـامًا، لكنه كان ما يزال على قيد الحياة، فنقلته إلى الأرض، وبـعد دقيقة فتح عينيه وأخذ يهذي النار.. النار فـقررت أن أحمله بسيارتـي وأسرع به إلى المستشفـى ولكنه قال بصوتٍ باكٍ: لا فائدة، لـن أصل فخنقتني الدموع، وأنـا أرى صديقي يموت أمامي.

وفوجئت به يصـرخ: ماذا أقول له؟ نظرت إليه بدهشـة وسألته من هو؟ قال بصوت كأنه قادم من بئرٍ عميق: اللَّه.

أحسست بالرعب يجتاح جسدي، وفـجأة أطلق صديقي صرخة مدوية، ولفظ آخر أنفاسه[1].

(١) «للشباب فقط» لعادل بن محمد العبـد نقلاً عن رسالة «أخي الشاب إلى أين تسير؟» (١٠ ـ ١٢) لمحمد أمين مرزا عالم ط. الدعوة السلفية.

● وهذه قصة شاب آخر فارق الدنيا بعد ليلة حمراء، ولم يمهله الموتُ حتى يصل إلى داره.

قال الراوي: حدثني أحدهم قال: «كنت مسافرًا في دراسة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وكان شأني شأن كثير من الشباب الذين يقضون الليل في الملهى والمرقص، وذات يوم كنا آيبين من لهونا وعبثنا، وتقدم بعضنا إلى الإسكان، أما واحدٌ منًّا فقد استبطأناه وقلنا: لعله يأتي بعد سويعة، ولم نزل ننتظره لكنه لم يأت فنزلنا نبحث عنه يمينًا وشمالاً، ثم قلنا أخيرًا: لا بد أنه في الموقف الذي يجعل للسيارة تحت البناء، فدخلنا الموقف فوجدنا أن محرك السيارة لا زال مشتعلاً، وصاحبنا ساكن لا يتحرك، والموسيقى لا زالت ترن منذ آخر الليل حتى اللحظة التي فتحنا فيها باب السيارة، فتحنا الباب ونادينا: يا أخانا، يا صاحبنا فإذا به قد انقطع عن الدنيا منذ اللحظة التي وقفت فيها سيارته في ذلك الموقف، وكانت هذه النهاية المحزنة لذلك الشاب قد أشعلت في قلوب الكثير من أولئك الشباب يقظة وتوبة وإنابة إلى اللَّه تعالى، فعادوا إلى اللَّه تائبين، وما شربوا بعدها وما فجروا، ثم استكانوا وأنابوا بفضل اللَّه، ثم بتدبرهم لحال صاحبهم الذي مات على معصية اللَّه، وكانت نهايته موعظة لمن يريد الاتعاظ، وأما المفرط المضيع فهو بمعزل عن ذلك[١] »[٢].

* قال أبو عبد اللَّه القرطبي: يروى أنه كان بمصر رجل ملتزم مسجدًا للأذان والصلاة، وعليه بهاء العبادة وأنوار الطاعة، فرقى يومًا المنارة على عادته للأذان، وكان تحت المنارة دار لنصراني ذمي، فاطلع فيها فرأى ابنة

---

(١) «رسالة عاجلة إلى المسلمين» (٥٢ ـ ٥٣).

(٢) «تذكير النفوس المؤمنة» (٣٦ ـ ٤٠).

صاحب الدار فافتتن بها وترك الأذان، ونزل إليها ودخل الدار. فقالت له: ما شأنك؟ ما تريد؟ فقال: أنت أريدك قالت: لماذا؟ قال لها: قد سلبت لبي وأخذت بمجامع قلبي. قالت: لا أجيبك إلى ريبة. قال لها: أتزوجك. قالت له: أنت مسلم وأنا نصرانية وأبي لا يزوجني منك. قال لها: أتنصر. قالت: إن فعلت أفعل فتنصَّر ليتزوجها وأقام معهم في الدار، فلما كان في أثناء ذلك اليوم رقى إلى سطح كان في الدار فسقط منه فمات، فلا هو بدينه[1] ولا هو بها.

فنعوذ باللَّه ثم نعوذ باللَّه، من سوء العاقبة، وسوء الخاتمة[2].

* قال طاوس عند قوله تعالى: ﴿ **وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا** ﴾ [النساء: ٢٨]: «إذا نظر إلى النساء لم يصبر»[3].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «لم يكن كفر من مضى إلا من قِبل النساء، وهو كائن كفر مَن بقي مِن قِبل النساء».

ولقد ساق ابن الجوزي قصة قريبة من القصة التي ذكرناها عن القرطبي فقال:

«بلغني عن رجل كان ببغداد يُقال له: صالح المؤذن، أذّن أربعين سنة، وكان يُعرف بالصلاح، أنه صعد يومًا إلى المنارة ليؤذن، فرأى بنت رجل نصراني كان بيته إلى جانب المسجد، فافتتن بها، فجاء فطرق الباب، فقالت: مَن أنت؟ فقال: أنا صالح المؤذن، ففتحت له، فلما دخل ضمّها إليه، فقالت: أنتم أصحاب الأمانات فما هذه الخيانة؟ فقال: إن وافقتيني على ما

---

(١) كذا ولعل هنا كلمة ساقطة ولعلّها فاز.

(٢) «التذكرة» (١/١٠٧).

(٣) «ذم الهوى» لابن الجوزي ص(١٧٩)، و«روضة المحبين» لابن القيم ص(٢٠٣).

أريد وإلا قتلتك. فقالت: لا إلا أن تترك دينك، فقال: أنا بريء من الإسلام ومما جاء به محمد، ثم دنا إليها، فقالت: إنما قلت هذا لتقضي غَرَضك ثم تعود إلى دينك، فكُل من لحم الخنزير، فأكل، قالت: فاشرب الخمر، فشرب، فلما دبّ الشراب فيه دنا إليها، فدخلت بيتًا، وأغلقت الباب، وقالت: اصعد إلى السطح حتى إذا جاء أبي زوّجني منك، فصعد فسقط فمات، فخرجت فلفّته في ثوب، فجاء أبوها، فقصّت عليه القصة، فأخرجه في الليل فرماه في السكة، فظهر حديثه، فرُمي في مزبلة[1].

*** وحكاية أخرى: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾:**

وأما الحكاية الأخرى فقد ذكرها الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللّه ـ في حوادث سنة ثمان وسبعين ومائتين ما يلي:

«وفيها تُوفي عبده بن عبد الرحيم قبّحه اللّه، ذكر ابن الجوزي أن هذا الشقي كان من المجاهدين كثيرًا في بلاد الروم، فلما كان في بعض الغزوات والمسلمون محاصرو بلدة من بلاد الروم، إذ نظر إلى امرأة من نساء الروم في ذلك الحصن فهويها.

فراسلها: ما السبيل إلى الوصول إليكِ؟ فقالت: أن تتنصّر وتصعد إليّ، فأجابها إلى ذلك، فما راع المسلمين إلا وهو عندها، فاغتمّ المسلمون بسبب ذلك غمّا شديدًا، وشقّ عليهم مشقة عظيمة، فلما كان بعد مدة مرّوا عليه وهو مع تلك المرأة في ذلك الحصن، فقالوا: يا فلان ما فعل قرآنك؟ ما فعل عملك؟ ما فعل صيامك؟ ما فعل جهادك؟ ما فعلتْ صلاتك؟ فقال: اعلموا أني أُنسيتُ القرآن كله إلا قوله: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ۝٢﴾

(١) «ذم الهوى» ص(٤٠٩).

﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٢ ـ ٣].

وقد صار لي فيهم مال وولد»[١] .

٤ ـ ومن أسباب سوء الخاتمة طول الأمل:

قال رسول اللَّه ﷺ: «**صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين، ويهلك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل**».

● وقال عمر بن عبد العزيز: لا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم، فإنه واللَّه ما بُسط أمل من لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسي بعد صباحه، وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا، وكم رأيت ورأيتم من كان بالدنيا مغترًا، وإنما تقرّ عين من وثق بالنجاة من عذاب اللَّه تعالى، وإنما يفرح من أمن أهوال القيامة، فأما من لا يداوي كلمًا إلا إذا أصابه جرح من ناحية أخرى فكيف يفرح؟ أعوذ باللَّه من أن آمركم بما لا أنهى عنه نفسي فتخسر صفقتي وتظهر عيبتي وتبدو مسكنتي في يوم يبدو فيه الغنى والفقر والموازين فيه منصوبة».

● وطول الأمل له سببان:

أحدهما: الجهل:

فهو أن الإنسان قد يعوّل على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب، وقد يستبعد الموت لصحته، ويستبعد الموت فجأة. والجهل يدعو إلى طول الأمل وإلى الغفلة عن تقدير الموت القريب والاستعداد له، فهو أبدًا يظن أن الموت يكون بين يديه ولا يقدّر نزوله به ووقوعه فيه، وهو أبدًا يظن أنه يشيّع

---

(١) «البداية والنهاية» (١١/ ٦٤).

الجنائز ولا يقدّر أن تشيع جنازته؛ لأن هذا قد تكرّر عليه وألفه وهو مشاهدة موت غيره، فأما موت نفسه فلم يألفه ولم يتصوّر أن يألفه، فإنه لم يقع، وإذا وقع في دفعة أخرى بعد هذه، فهو الأول وليس الآخر. وسبيله أن يقيس نفسه بغيره، ويعلم أنه لا بدّ، وأن تحمل جنازته، ويدفن في قبره، ولعل اللبن الذي يغطى به لحده قد ضُرب وفرغ منه، وهو لا يدري فتسويفه جهل محض.

تزوّد من الدنيا فإنك لا تدري ... إذا جَنّ ليل هل تعيش إلى الفجر

فكم من فتى يمسي ويصبح لاهيا ... وقد نُسجت أكفانه وهو لا يدري

وكم من عروس زيّنوها لزوجها ... وقد قُبضت أرواحهم ليلة القدر

وكم من صغار يُرتجى طول عمرهم ... وقد أُدخلت أجسادهم ظلمة القبر

وكم من صحيح مات من غير علة ... وكم من سقيم عاش حينًا من الدهر

- **أيها الغافل:**

ضَرَبْت عن ادِّكار الموت صَفْحًا ... كأنك لا تراه عليك حتمًا

- **أيها الغافل:** تنبّه قبل فوات الأوان، وتيّقظ قبل أن يقال: مات فلان.

تفكّر قبل أن تَنْدَم ... فإنك ميّت فاعلمْ

ولا تغترّ بالدنيا ... فإن صحيحها يسقمْ

وإن جديدها يبلى ... وإن شبابها يهرَمْ

- **أيها الغافل:**

تنامُ ولم تنم عنك المنايا ... تنبَّه للمنيّة يا نَؤومُ

تموتُ غدًا وأنت قريرُ عين ... من الغَفَلات في لُجَجٍ تعومُ

لهوتَ عن الفناء وأنت تفنى ... وما حيٌّ على الدنيا يدوم[١]

● قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

● أيها الغافل:

يا مُعرضًا عما يُراد به وقدْ ... جدّ المسيرُ فمُنتهاهُ دان

يختالُ في حُلَل المسرّة ناسيًا ... ما بعدها مِن حَلّة الأكفان

أَفِق وتنبّه من جهالاتك وغفلاتك.

● **والسبب الآخر: حب الدنيا.** وسنجعله سببًا مستقلاً من أسباب سوء الخاتمة لأهميته.

٥ ـ السبب الخامس: حب الدنيا:

«إنه إذا أنس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها، ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه من الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها، وكل من كره شيئًا دفعه عن نفسه. والإنسان مشغوف بالأماني الباطلة، فيمني نفسه أبدًا بما يوافق مراده، وإنما يوافق مراده البقاء في الدنيا، فلا يزال يتوهمه ويقدّره في نفسه ويقدّر توابع البقاء وما يحتاج إليه من مال وأهل ودار وأصدقاء ودواب وسائر أسباب الدنيا، فيصير قلبه عاكفًا على هذا الفكر موقوفًا عليه، فيلهو عن ذكر الموت فلا يقدّر قربه، فإن خطر له في بعض الأحوال أمر الموت والحاجة إلى الاستعداد له سوّف ووعد نفسه، وقال: الأيام بين يديك إلى أن تكبر ثم تتوب، وإذا كبر فيقول: إلى أن تصير شيخًا. فإذا صار شيخًا قال:

---

(١) «الندامة الكبرى» لمحمد شومان بن أحمد الرملي ص(١١) ـ دار ابن عفان.

إلى أن تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة، . . . وهكذا على التدريج إلى أن تختطفه المنية في وقت لا يحتسبه، فتطول عند ذلك حسرته، وأكثر أهل النار صياحهم من «سوف» يقولون: «وا حزناه من سوف»[1] .

● قال الشيخ صديق حسن خان:

فإن كان في إيمانه ضعف يضعف حب اللَّه تعالى فيه ويقوى حب الدنيا في قلبه، ويستولي عليه بحيث لا يبقى فيه موضع لحب اللَّه تعالى، إلا من حيث حديث النفس، بحيث لا يظهر له أثره في مخالفة النفس، ولا يؤثر في الكف عن المعاصي، ولا في الحث على الطاعات، فينهمك في الشهوات وارتكاب السيئات، فتتراكم ظلمات الذنوب على القلب فلا تزال تطفئ ما فيه من نور الإيمان مع ضعفه، فإذا جاءت سكرات الموت يزداد حب اللَّه ضعفًا في قلبه، لما يرى أنه يفارق الدنيا وهي محبوبة له، وحبها غالب عليه لا يريد تركها، ويتألم من فراقها، ويرى ذلك منه اللَّه تعالى فيخشى أن يحصل في باطنه بغضه تعالى بدل الحب، وينقلب ذلك الحب الضعيف بغضًا، فإن كان خروج روحه في اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة يختم له بالسوء، ويهلك هلاكًا مؤبدًا.

والسبب المفضي إلى هذه الخاتمة حب الدنيا، والركون إليها، والفرح بها، مع ضعف الإيمان الموجب لضعف حب اللَّه تعالى، وهو الداء العضال الذي قد عَمَّ أكثر الخلق، فإن من يغلب على قلبه عند الموت أمر من أمور الدنيا يتمثل ذلك الأمر في قلبه، ويستغرقه حتى لا يبقى لغيره متسع، فإن كان خروج روحه في تلك الحالة يكون رأس قلبه منكوسًا إلى الدنيا، ووجهه

(١) «إحياء علوم الدين» (٤/ ٤٨٥).

مصروفًا إليها، ويحصل بينه وبين ربه حجاب[١].

● قال يحيى بن معاذ: الدنيا خمر الشيطان مَن سكِر منها فلا يفيق إلا في عسكر الموتى نادمًا بين الخاسرين.

● ومحب الدنيا أشدّ الناس عذابًا بها، وهو معذب في دوره الثلاثة: يعذب في الدنيا بتحصيلها والسعي فيها ومنازعة أهلها، وفي دار البرزخ بفواتها والحسرة عليها، وكونه قد حيل بينه وبين محبوبه على وجه لا يرجو اجتماعه به أبدًا، ويعذب يوم لقاء ربه قال تعالى: ﴿**فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ**﴾ [التوبة: ٥٥].

«والمقصود أن محبة الدنيا من أضر الأمور على العبد في الدنيا والآخرة إذا أنها من أعظم أسباب سوء الخاتمة، فمن غلب على قلبه حب اللَّه عز وجل والدار الآخرة حسنت خاتمته في الغالب، ومن غلب على قلبه حب الدنيا والتعلق بأسبابها ساءت خاتمته في الغالب، واللَّه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم»[٢].

* **قال القرطبي**: ومثل هذا في النّاس كثير ممن غلب عليه الاشتغال بالدنيا والهمٌ بها، أو سبب من أسبابها، حتى لقد حكي لنا أن بعض السماسرة جاءه الموت فقيل له: قل: لا إله إلا اللَّه فجعل يقول: ثلاثة ونصف، أربعة ونصف غلبت عليه «حب» السمسرة.

● ولقد رأيت بعض الحُسَّاب وهو في غاية المرض، يعقد بأصابعه

---

(١) «يقظة أولي الاعتبار» ص(٢٠٧).

(٢) «تذكير النفوس المؤمنة» ص(٤٤).

ويحسب وقيل لآخر قل: لا إله إلا اللَّه فجعل يقول: الدار الفلانية أصلحوا فيها كذا، والجنان الفلانية اعملوا فيها كذا.

● ولقد حكى ابن المظفر في كتاب «النصائح» له قال: كان يونس بن عبيد - رحمه اللَّه تعالى - بزازًا وكان لا يبيع في طرفي النهار، ولا في يوم غيم، فأخذ يومًا ميزانه فرضه بين حجرين، فقيل له: هلا أعطيته الصانع فأصلح فساده؟ فقال: لو علمت فيه فسادًا لما أبقيت من مالي قوت ليلة. قيل له: فلم كسرته؟ قال: حضرت الساعة رجلاً احتضر فقلت له: قل: لا إله إلا اللَّه فامتعض، فألححت عليه فقال: ادع اللَّه لي فقال: هذا لسان الميزان على لساني يمنعني من قولها. قلت: أفما يمنعك إلا من قولها؟ فقال: نعم. قلت: وما كان عملك به قال: ما أخذت ولا أعطيت به إلا حقًّا في علمي، غير أني كنت أقيم المدة لا أفتقده ولا أختبره، فكان يونس بعد ذلك يشترط على من يبايعه أن يأتي بميزان ويزن بيده وإلا لم يبايعه[1].

● **قال ابن القيم:** وأخبرني من حضر بعض الشحاذين عند موته فجعل يقول: للَّهِ، فَلْسٌ للَّهِ، فلس للَّهِ، حتى قضى.

● وأخبرني بعض التجار عن قرابة له أنه احتضر وهو عنده وجعلوا يلقنونه «لا إله إلا اللَّه» وهو يقول: هذه القطعة رخيصة، هذا مشتري جيدٌ هذا كذا حتى قضى!

وسبحان اللَّه كم شاهد الناس من هذا عبرًا؟ والذي يخفى عليهم من أحوال المحتضرين أعظم وأعظم[2].

---

(١) «التذكرة» (١/ ١٠٤ - ١٠٥).

(٢) «الداء والدواء» (١٤٣).

٦ ـ العُدول عن الاستقامة:

قيل لأحد علماء سلفنا: فلان عرف طريق اللَّه ثم رجع عنه، فقال: «لو وصلوا إليه ما رجعوا».

فمن عرف طريق المِلك، ثم أعرض عنه وتنكبّه، واختار طرق الغواية والضلال، وآثر الغيّ على الرشاد، والضلالة على الهُدىٰ، والفجور على التقى، كان ذلك من أعظم أسباب سوء الخاتمة.

وقد ورد عند مسلم وأحمد وغيرهما من حديث عبد اللَّه بن سرجس قال: «كان رسول اللَّه ﷺ يتعوّذ من وعثاء السفر وكآبة المنقلب، والحور بعد الكور».

قال اللَّه تعالى: ﴿**فَلَمَّا زَاغُواْ أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ [الصف: ٥].

قال ابن كثير: «كان الرجّال بن عنفوة قد وفد إلى النبي ﷺ وقرأ البقرة وجاء زمن الردة إلى أبي بكر فبعثه إلى أهل اليمامة يدعوهم إلى الإسلام ويثبتهم على الإسلام فارتد مع مسيلمة وشهد له بالنبوة».

«وكان الرجّال يقول: كبشان انتطحا فأحبهما إلينا كبشنا يعني مسيلمة ورسول اللَّه ﷺ»(١).

ولقد قُتل هذا الكذّاب الأشر في يوم اليمامة، قتله زيد بن الخطاب.

روى سيف بن عمر في الفتوح، عن مخلد بن قيس البجلي قال: خرج فرات بن حيان والرجال بن عنفوة، وأبو هريرة من عند رسول اللَّه ﷺ

---

(١) «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلاني (٢/ ٤٤٦).

فقال: «لضرس أحدهم في النار أعظم من أحد...» فبلغهم ذلك إلى أن بلغ أبا هريرة وفراتًا قتل الرجال فخرّا ساجدين»[١].

● وقال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٧]، إنسان يؤتيه اللَّه آيات، ويخلع عليه من فضله ويكسوه من عمله، ويعطيه الفرصة كاملة للهدى والاتصال والارتفاع، ولكن ها هو ذا ينسلخ من هذا كله انسلاخًا. وينحرف عن الهدى، ليتبع الهوى، ويهبط من الأفق المشرق، فيلتصق بالطين المُعتم، فيصبح غرضًا للشيطان، فيتبعه، ويلزمه، ويستحوذ عليه، مشهد بائس نكد، إذا نحن بهذا المخلوق، لاصقًا بالأرض، ملوّثًا بالطين، مشهد اللهاث القلق الذي لا ينقطع ولا يطمئن أبدًا.

مسخ شائه الكيان، هابط عن مكان الإنسان إلى مكان الحيوان، مكان الكلب الذي يتمرّغ في الطين، وكان له من الإيمان جناح يرف به إلى علّيّين وكان من فطرته الأولى في أحسن تقويم، فإذا هو ينحطّ منها إلى أسفل سافلين.

فخلّ سبيل العين بعدك للبُكا　　　فليس لأوقات الصفاء رجوعُ

انظر ما عرض لمن سبقت شقاوته في الأزل من الحور بعد الكور، فبينما

---

(١) «من أخبار المنتكسين» ص(٢٢٣، ٢٢٤).

تراه وأحواله حالية، وأعوامه من شوائب الكدر خالية، وغصون أنسه متدلية، ورياض قربه مونقـة، قلب الدهر ظهر المجنّ، وغزاه بجيوش المحن، وهبّت على هـاتيك الرياض عـاصفات القضـاء، وضاقت عليـه فسيحات الـقضاء، وذهب، السرور والأنس، وجعل حصيدًا كـأن لم يغن بالأمس، وأنشد لسان حاله.

قـف بـالـديـار فـهـذه آثـارهـم — تـبـكـي الأحـبـة حـسـرة وتـشـوقًـا

كم قد وقفت بهـا أسائل مخبـرًا — عـن أهلـهـا أو صـادقًا أو مـشـفـقًـا

فأجابنـي داعي الـهوى في رسـمهـا — فـارقـت مَـن تـهـوى فعزّ الملـتـقـى

روى أبو يعلى الموصلي في «مسنـده» من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن مما أتخوّف عليكـم رجل قرّاء القرآن حتى إذا رؤيت بهجـته عليه، وكان رداؤه الإسـلام اعتراه إلى ما شاء اللَّه انسلخ منـه ونبذه وراء ظهره، وسعى على جاره بـالسيف ورماه بالشرك**» قال: قلت: يا نـبي اللَّه أيهما أولى بالشرك المرمي أو الرامي؟ قال: «**بل الرامي**». إسناده جيد.

*** قصة من واقع الحياة لسوء خاتمة من عدل عن الاستقامة:**

«هذه قصة شاب كان ملتزمًا بشرع اللَّه حـريصًا على دينه، محافظًا على يقينه ثم تهاون في تنفيذ أوامر اللَّه عز وجل، وتجرأ على حرمات اللَّه، وعدل عن الاستقامة، فكان ذلك سببًا لسوء خاتمته نسأل اللَّه العافية.

يقول الراوي: صحبنا على ظهر سفينة نجول بها حول البلدان طلبًا للرزق شاب صالح، نـقي السريرة، طيـب الخلق كنا نرى الـتقى يلوح في قـسمات وجهه، والنـور والبشر يرتسـمان على محيـاه لا تراه إلا متوضئًا مـصليًا، أو ناصحًا مرشدًا، إن حانت الصلاة أذن لنا وصـلى بنا، فإن تخلف أحد عنها،

أو تأخر عاتبه وأرشده، وكان معنا على هذه السَّجِيَّةِ طيلة أسفارنا، وألقى بنا البحر إلى جزيرة من جزر الهند، فنزلنا إليها، وكان مما تعود عليه البحارة أن يستقروا أيامًا يرتاحون فيها ويستجمون بعد عناء السفر الطويل، يتجولون في أسواق المدينة ليشتروا أغرب ما يجدون فيها لأهلهم وأبنائهم، ثم يرجعون إلى السفينة في الليل، وكان منهم نفر ممن وقع في الضلال يتيمم أماكن اللهو والهوى ومحال الفجور والبغاء، وكان ذلك الشاب الصالح لا ينزل من السفينة أبدًا بل يقضي هذه الأيام يصلح في السفينة ما احتاج منها إلى إصلاح، فيفتل الحبال ويلفها ويقدم الأخشاب ويشدها، ويشتغل بالذكر والقراءة والصلاة وقته ذاك.

وقال الراوي وعينه ترقرق بالدموع وتنحدر على لحيته: وفي إحدى السفريات وبينما كان الشاب منشغلاً بأعماله تلك إذا بصاحب له في السفينة ممن أتبع نفسه هواها وانشغل بطالح الأمور عن صالحها، وبسافل الأخلاق عن عاليها يهامسه ويقول:

صاحبي، لم أنت جالس في السفينة لا تفارقها، لم لا تنزل حتى ترى دنيا غير دنياك، ترى ما يشرح الخاطر، ويؤنس النفس! أنا لم أقل لك تعالى إلى أماكن البغاء وسخط اللَّه ولا إلى البارات وغضب اللَّه هيهات يا صاحبي لكن تعالى فانظر إلى ملاعب الثعابين كيف يتلاعب بها ولا يخافها، وإلى راكب الفيل كيف يجعل من خرطومه له سلمًا، ثم يصعد برجليه ويديه حتى يقيمه على رجل واحدة، وآه لو رأيت من يمشي على المسامير أنى له الصبر، ومن يلقم الجمر كأنه تمر، ومن يشرب ماء البحر فيسيغه كما يسيغ الماء الفرات، يا أخي انزل وانظر الناس! فتحركت نفس الشاب شوقًا لما سمع فقال: وهل في هذه الدنيا ما تقول؟

قال صاحب السوء: نعم وفي هذه الجزيرة فانزل تر ما يسرك، ونزل الشاب الصالح مع صاحبه وتجولا في أسواق المدينة وشوارعها حتى دخل به إلى طرق صغيرة ضيقة، فانتهى بهما الطريق إلى بيت صغير، فدخل الرجل البيت وطلب منه الشاب أن ينتظره. وقال: سآتيك بعد قليل، ولكن إياك إياك أن تقترب من الدار، جلس الشاب بعيدًا عن الباب يقطع الوقت قراءة وذكرًا وفجأة إذا به يسمع قهقهة عالية ليفتح الباب وتخرج منه امرأة قد خلعت جلباب الحياء والمروءة.

أواه!! إنه الباب نفسه الذي دخل فيه الرجل، وتحركت نفس الشاب فدنا من الباب، ويصيخ سمعه لما يدور في البيت، وإذا به يسمع صيحة أخرى، فنظر من شق الباب ويتبع النظرة أختها لتتواصل النظرات منه وتتوالى وهو يرى شيئًا لم يألفه، ولم يره من قبل، ثم رجع إلى مكانه، ولما خرج صاحبه بادره الشاب مستنكرًا: ما هذا؟!! ويحك هذا أمر يغضب اللَّه ولا يرضيه.

فقال الرجل: اسكت يا أعمى يا مغفل هذا أمرٌ لا يعنيك.

قال الراوي: ورجعا إلى السفينة في ساعة متأخرة من الليل، وبقي الشاب ساهرًا ليلته تلك مشتغل الفكر فيما رآه، قد استحكم سهم الشيطان من قلبه، وامتلكت النظرة فؤاده. فما إن بزغ الفجر وأصبح الصباح حتى كان أول نازل من السفينة، وما في باله إلا أن ينظر فقط، ولا شيء غير أن ينظر وذهب إلى ذلك المكان فما إن نظر نظرته الأولى وأتبعها الثانية حتى فتح الباب وقضى اليوم كله هناك، واليوم الذي بعده كذلك، فافتقده ربان السفينة وسأل عنه.

أين المؤذن؟ أين إمامنا في الصلاة؟ أين ذلك الشاب الصالح فلم يجبه من البحارة أحدٌ فأمرهم أن يتفرقوا للبحث عنه، فوصل إلى علم الربان من ذهب به إلى ذلك المكان فأحضره وزجره وقال له: ألا تتقي اللَّه ألا تخشى

عقابه، عجل اذهب فأحضره فذهب إليه مرة بعد مرة فلم يستطع إحضاره؛ لأنه كان يرفض ويأبى الرجوع معهم، فلم يكن من قائد السفينة إلا أن أمر عدة من الرجال أن يحضروه قسرًا فسحبوه بالقوة وحملوه إلى السفينة.

قال الراوي: وأبحرت السفينة راجعة إلى البلاد، ومضى البحارة إلى أعمالهم، وأخذ ذلك الشاب في زاوية من السفينة يبكي ويئن، حتى لتكاد نياط قلبه أن تتقطع من شدة البكاء، ويقدمون له الطعام فلا يأكل، وبقي على حاله البائسة هذه بضعة أيام، وفي ليلة من الليالي ازداد بكاؤه ونحيبه ولم يستطع أحد من أهل السفينة أن ينام، فجاءه ربان السفينة وقال له: يا هذا اتق اللَّه ماذا أصابك لقد أقلقنا أنينك فما نستطيع أن ننام، ويحك ما الذي بدل حالك؟ ويلك ما الذي دهاك فرد عليه الشاب وهو يتحسر: دعني فإنك لا تدري ما الذي أصابني، فقال الربان: وما الذي أصابك؟ وعند ذلك كشف الشاب عن عورته وإذا الدود يتساقط من سوأته، فانزعج ربان السفينة وارتعش لما رأى، وقال أعوذ باللَّه من هذا، وقام عنه الربان. وقبيل الفجر قام أهل السفينة على صيحة مدوية أيقظتهم، وذهبوا إلى مصدرها فوجدوا ذلك الشاب قد مات، وهو ممسك خشبة السفينة بأسنانه، استرجع القوم وسألوا اللَّه حسن الختام، وبقيت قصة هذا الشاب عبرة لمن يعتبر[1].

٧ ـ من أسباب سوء الخاتمة تعلق القلب بغير اللَّه عز وجل:

فمهما تعلق القلب باللَّه عز وجل فإنه يسعد في الدنيا والآخرة، ومهما تعلق بغير اللَّه شقي في الدنيا والآخرة ففي القلب فقر واضطرار إلى اللَّه عز

---

(١) من درس للشيخ أحمد القطّان وهي في أول كتيّب «السهم المسموم»، وهي أيضًا في كتاب «رسالة عاجلة إلى المسلمين» (٤٠ ـ ٤٦).

وجل، لا يسعد إلا بمعرفته، ولا يطمئن إلا بطاعته وعبادته وذكره، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد: ٢٨]، فإذا تعلق القلب بغير اللَّه محبة أو توكلاً أو خوفًا أو رجاء لا بد أن يشقى العبد قال النبي ﷺ: «**تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة وعبد القطيفة..**»[1] فالقلب يشقى بإعراضه عن اللَّه عز وجل وتعلقه بغيره:

أنت القتيلُ بكل مَنْ أحببتَهُ ... فاخترْ لنفسكَ في الهوَى من تصْطَفِي

وكذا تعلق القلب بغير اللَّه عز وجل من أسباب سوء الخاتمة، ولذا نهى اللَّه عز وجل أن يزداد حب العبد لابنه وأبيه وأخيه وزوجته وماله فيكون أكثر من حبه للَّه عز وجل، أو لرسوله ﷺ فقال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ [التوبة: ٢٤].

فلا يجوز للعبد أن يعلق قلبه بغير اللَّه عز وجل؛ لأن ذلك قد يغلب على قلبه، ويشغل خاطره فينشغل بذلك عن ذكر اللَّه عز وجل، وعن لا إله إلا اللَّه، وهذه بعض الأمثلة لمن غلب على قلبه محبة غير اللَّه فكان ذلك من أسباب سوء خاتمته.

* يروى أن رجلاً علق بشخصٍ وأحبَّهُ فتمنع عنه، واشتد نفاره، فاشتد قلق البائس إلى أن لزم الفراش، فلم تزل الوسائط تمشي بينهما حتى وعد بأن

(١) رواه البخاري (٦/ ٥٩) «الجهاد» و(١١/ ٢٥٧) «الرقاق».

يعوده، فأخبر بذلك ففرح واشتد فرحه وسروره، وانجلى عنه بعض ما كان يجده، فلما كان في بعض الطريق رجع وقال: واللَّه لا أدخل مداخل الريب، ولا أعرض بنفسي لمواقع التهم، فأخبر بذلك البائس المسكين فسقط في يده، ورجع إلى أسوأ ما كان به، وبدت علامات الموت وأماراته عليه قال الراوي: فسمعته يقول وهو في تلك الحال:

سَلامٌ يا راحةَ العليلِ وبرد ذل الدَّنف[1] النحيلِ

رضاك أشهى إلى فؤادي من رَحمةِ الخَالقِ الجَليلِ

قال: فقلت له: يا فلان اتق اللَّه تعالى. فقال: قد كان ما كان.

فقمت عنه فما جاوزت باب داره حتى سمعت صيحة الموت قد قامت عليه فنعوذ باللَّه من سوء العاقبة وشؤم الخاتمة[2].

*** أديب يُولع بغلام نصراني حتى يخرج عن الملّة:**

«هذا الأديب يولع بحب غلام نصراني، يقال له عمرو بن حني من أحسن الناس صورة وأجملهم خِلقة فبدأ «مدرك بن علي» الأديب ينشد به الشعر حتى أخرجه من الملة، ومن هذا قوله:

إن كان ذنبي عنده الإسلامُ فقد سَعَتْ في نقضه الآثامُ

واختلاف الصلاة والصيام وجاز في الدين له الحرامُ

ثم إنه زاد به الشغف وصار إلى التلف، ولزم الفراش، وذهل لبه وطاش، فحضره بعض أصدقائه عائداً، ولمودته رائداً، فوجدوه في حالة

---

(١) الدنف: المرض الشديد الملازم لصاحبه وتطلق كثيراً على المريض من الحب والهيام.

(٢) «التذكرة» (١/١٠٧ ـ ١٠٨).

شنيعة وهيئة فظيعة، فقال لهم: ألست صاحبكم القديم، وصديقكم النديم، أفلا أحد يسعدني بنظرة إلى وجه عمرو فقد ضاع مني الأجل والعمر، فمضوا إلى عمرو مسرعين، وعلى الإجماع بينهما مجتمعين، فأخبروه بالحال، وأعلموه بما إليه مدرك قد آل، فلبس ثيابه مبادرًا، ولجناب مدرك زائرًا، فدخل عليه وسلّم، وأخذ بيده وتبسّم، وقال: كيف تجدك يا سيدي؟ فهذه يدك في يدي، فنظر إلى البائس ثم غاب من فرط وجده، وفرحه بعابد الصليب وعظم المودة، ثم أنشده شعرًا ثم شهق شهقة فارق الدنيا»[(١)] .

* كيف يموت العشاق، وكيف عُذّبوا بمن آثروه على اللَّه؟

الحرية حرية القلب، والعبودية عبودية القلب. . . وإعراض القلب عن اللَّه يوقع صاحبه في عشق الصور.

قالوا جننت بمن تهوى فقلتُ لهم العشق أعظم مما بالمجانين
العشق لا يستفيق الدهر صاحبه وإنما يُصرع المجنون في الحين

والعشق والشغف لا يكونان إلا عن فراغ قلب من حب اللَّه وشرعه.

«فأين المذهب عن طاعة هذا الملِك الكريم، وما الرغبة في لذة ذاهبة لا تذهب الندامة عنها، ولا تفنى التباعة منها، ولا يزول الخزي عن راكبها؟!. وإلى كم هذا التمادي وقد أسمعنا المنادي، وكأن قد حدا بنا الحادي إلى دار القرار فإما إلى جنة وإما إلى نار»[(٢)] .

وانظر كيف عُذّب العشاق بمن آثروه من الصور على مولاهم وأمره حتى ماتوا.

---

(١) «من أخبار المنتكسين» (٣٣ ـ ٣٤).

(٢) «رسائل ابن حزم» (١/ ٣٠٠ ـ ٣٠١).

● زوّجوا بثينة نبيهًا فمات جميل عشقًا.

● وزوّجوا ليلى بورد بن محمد العقيلي فمات قيس بن الملوح غرامًا بعد أن جن وسُمِّي مجنون ليلى.

● وزوّجت أسماء بنت عوف برجل من مراد، فمات المرقش الأكبر مضنى بحبها.

● ومات عروة في هوى عفراء وقد زُوّجت بغيره، فقامت تندبه حتى ماتت جزعًا.

● قال البقاعي: «وقال مغلطاي: ذكر الزبير: عن عكرمة مولى ابن عباس ﷺ قال: إني لمع مولاي عشيّة عرفة إذ أقبل فتية من بني عذرة يحملون فتى من بني عذرة قد بلي بدنه حتى أوقفوه بين يديه، ثم قالوا له: استشف لهذا يا ابن عم رسول اللَّه. فقال: وما به؟

قالوا: العشق.

فترنم الفتى بصوت ضعيف حتى لا يبين:

بنا من جوى الأحزان والصب لوعة ... تكاد لها نفس الشفيق تذوب

ولكنما أبقى حشاشة مقول ... على ما به عود هناك صليب

وما عجبي موت المحبين في الهوى ... ولكن بقاء العاشقين عجيب

ثم شهق شهقة فمات.

قال عكرمة: فما زال ابن عباس ﷺ بقية يومه يتعوذ باللَّه تعالى من الحب»[1].

---

(١) «ذم الهوى» لابن الجوزي ص(٣٧٢ ـ ٣٧٤)، «أسواق العشاق» للبقاعي ص(٩١/ ب)، «وكيف يموت العشاق» لابن عقيل الظاهري ص(٣١٤ ـ ٣١٥) ـ دار ابن حزم.

● قال ابن الجوزي في «ذم الهوى»: «قال سنيد: رأيت رجلاً عشق فتنصّر».

وسمعت شيخنا أبا الحسن علي بن عبيد اللَّه الزاغوني يحكي، أن رجلاً اجتاز بباب امرأة نصرانية، فرآها فهويها من وقته، وزاد الأمر به حتى غلب على عقله، فحمل إلى المارستان، وكان له صديق يتردد إليه ويترسل بينه وبينها، ثم زاد الأمر به، فقالت أمه لصديقه: إني أجيء إليه ولا يكلمني. فقال: تعالي معي، فأتت معه، فقال له: إنّ صاحبتك قد بعثت إليك برسالة، فقال: كيف؟ فقال: هذه أمك تؤدي رسالتها، فجعلت أمه تحدثه عنها بشيء من الكذب، ثم إنه زاد الأمر عليه، ونزل به الموت، فقال لصديقه: قد جاء الأجل وحان الوقت، وما لقيت صاحبتي في الدنيا، وأنا أريد أن ألقاها في الآخرة، فقال له: كيف تصنع؟ قال: أرجع عن دين محمد، وأقول عيسى ومريم والصليب الأعظم فقال ذلك ومات.

فمضى صديقه إلى تلك المرأة فوجدها مريضة فدخل عليها وجعل يحدثها، فقالت: أنا ما لقيت صاحبي في الدنيا، وأريد أن ألقاه في الآخرة، وأنا أشهد أنَ لا إله إلا اللَّه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأنا بريئة من دين النصرانية.

فقام أبوها فقال للرجل: خذوها الآن فإنها منكم، فقام الرجل ليخرج، فقالت له: قف ساعة، فوقف فماتت!!».

● وانظر إلى أشقى الآخرين عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي وكيف قتله بسبب قطام المرأة التي كانت من الخوارج والتي سلبَت عقله.

● وقصة الرجل الذي تعلّق قلبه بحب المال حبًّا شديدًا، وهذا الرجل كان من الإحساء وقد بلغ من الكبر عتيًّا، ليس له أحد، لا زوج ولا ولد ولا قريب، فانظر كيف صنع:

جمع ذهبه أمامه، وبجواره زيت، وهو يخاطب الذهب: يا حبيبي، يا من أفنيت فيك عمري، أموت وأتركك لغيري، لا والله، أنا أعلم أن موتي قريب، وأن مرضي خطير، ولكني سأدفنك معي، ثم يأخذ دينار الذهب، ويغمسه في الزيت ويهوي به إلى فمه ويبلعه، فإذا بلعه أصابته كحة شديدة يكاد أن يموت منها، ثم يأخذ نَفَسه ويرفع ديناراً ثانياً، ثم يغمسه في الزيت ويهوي به في فمه... حتى مات من جرّاء ذلك»[1].

٨ ـ التسويف بالتوبة والعمل الصالح:

العمر ينقص والذنوب تزيد	**وتقال عثرات الفتى فيعودُ**
هل يستطيع جحود ذنب واحد	**رجل جوارحه عليه شهودُ**
والمرء يسأل عن سنيه فيشتهي	**تقليلها وعن الممات يحيدُ**

● قال الحافظ ابن رجب ـ رحمه الله ـ: «اعلم أن الإنسان ما دام يأمل الحياة فإنه لا يقطع أمله من الدنيا وقد لا تسمح نفسه، بالإقلاع عن لذاتها وشهواتها من المعاصي وغيرها، ويرجيه الشيطان بالتوبة في آخر عمره، فإذا تيقن الموت وأيس من الحياة أفاق من سكرته بشهوات الدنيا فندم حينئذٍ على تفريطه ندامة يكاد يقتل نفسه، وطلب الرجعة إلى الدنيا ليتوب ويعمل صالحًا فلا يجاب إلى شيءٍ من ذلك، فيجتمع عليه سكرة الموت مع حَسْرَةِ الفوت.

وقد حذر الله في كتابه عباده من ذلك ليستعدوا للموت قبل نزوله بالتوبة والعمل الصالح قال تعالى: ﴿ **وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن**

---

(١) من شريط قصص واقعية عن بعض الموتى لمجموعة من الدعاة.

يَأْتِيكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٤ ـ ٥٦].

سمع بعض المحتضرين عند احتضاره يلطم على وجهه ويقول: ﴿يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾.

وقال آخر عند احتضاره: سخرت بي الدنيا حتى ذهبت أيامي.

وقال آخر عند موته: لا تغرنكم الحياة الدنيا كما غرتني.

● وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠].

● وقال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١٠ ـ ١١].

● وقال تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤]، وفسره طائفة من السلف منهم عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ بأنهم طلبوا التوبة حين حيل بينهم وبينها.

قال الحسن: اتق اللَّه يا ابن آدم لا يجتمع عليك خصلتان سكرة الموت وحسرة الفوت.

وقال ابن السماك: احذر السكرة والحسرة، أن يفجأك الموت وأنت على الغرة، فلا يصف واصف قدر ما تلقى ولا قدر ما ترى.

مات كثير من المصريين على المعاصي على أقبح أحوالهم وهم مباشرون للمعاصي، فكان ذلك خزيًا لهم في الدنيا مع ما صاروا إليه من عذاب الآخرة، وكثيرًا ما يقع هذا للمصريين على الخمر المدمنين على شربها، كما

قال القائل:

أتأمنُ أيها السَّكرانُ جَهْلاً بَأَنْ تَفْجَاكَ فِي السُّكْرِ المَنيَّة
فَتَضْحَى عِبْرةً لِلنَّاسِ طَرًّا وَتَلْقَى اللَّهَ مِن شَرِّ البَرِيّة

سكر بعض المتقدمين ليلة فعاتبته زوجته على ترك الصلاة، فحلف بطلاقها ثلاثًا لا يصلي ثلاثة أيام، فاشتد عليه فراقِ زوجته فاستمر على ترك الصلاة مدة الأيام الثلاثة فمات فيها على حاله وهو مصرٌ على الخمر تارك للصلاة.

كان بعض المصريين على الخمر يكنى أبا عمرو: فنام ليلة وهو سكران فرأى في منامه قائلاً يقول له:

جَدَّ بكَ الأمر أَبَا عمرو وأنتَ معكوفٌ على الخمر
تشرب صَهْبَاءَ صَرَاحِيَةً سَالَ بِكَ السيل ولا تدري

فاستيقظ منزعجًا وأخبر من عنده بما رأى، ثم غلبه السُّكر فنام، فلما كان وقت الصبح مات فجأة.

غاية أمنية الموتى في قبورهم حياة ساعة يستدركون فيها ما فاتهم من توبة وعمل صالح، وأهل الدنيا يفرطون في حياتهم فتذهب أعمارهم في الغفلة ضياعًا ومنهم من يقطعها بالمعاصي.

● **قال بعض السلف:** أصبحتم في أمنية ناس كثير. يعني أن الموتى يتمنون حياة ساعة ليتوبوا فيها ويجتهدوا في الطاعة ولا سبيل لهم إلى ذلك[1].

---

(١) باختصار من «لطائف المعارف» لابن رجب (٣٥٣ ـ ٣٥٥) ط ـ دار الجيل.

علامـــات سوء الخاتمة

*** من علامات سوء الخاتمة:**

● الأمن من مكر اللَّه عز وجل حتى كأن بـعضهم آتاهم اللَّه ميثاقًا أن لا يعذبهم.

● ومنها: الغفلة عن ذكر اللَّه عز وجل.

● ومنها: النفاق والرياء وحب السمعة.

وفي الحديث المتفق عليه: «... **من راءى راءى اللَّه به، ومن**[١] **سمّع سمّع اللَّه به**».

*** ولها علامات أُخَر:**

● منهـا: ما يكون عـند الموت من التـسخط علـى القدر، والكـفر برب البشر.

● ومنها: ما يكون قبل الدفن.

● ومنها: ما يكون عند الدفن.

● ومنها: ما يكون بعد الدفن.

*** علامات سوء الخاتمة قبل الموت:**

فبعـضهم يقع عنـد اشتداد المرض في التـسخط والاعتراض علـى قضاء اللَّه، أو الجحود والكـفر بألا إله إلا اللَّه، أو يصرح بأنه لا يستـطيع أن ينطق بكلمة التوحيد، وأنه يحال بينه وبينـها والعياذ باللَّه، أو يتكلم بكلام يغضب اللَّه عز وجل.

---

(١) انظر: كتاب «سياط القلوب» للشيخ عائض القرني ص(٢٠٧ ـ ٢١٠) ـ دار ابن حزم.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره أبو عبد الرحمن اليماني أنه لقن رجلاً ساعة الاحتضار شهادة أن لا إله إلا اللَّه، فكان الرجل يحرك رأسه يمينًا وشمالاً وهو لا يتكلم، وكأنه يقول لي: لا لن أقولها[1] .

وقال ابن أبي الدنيا حدثني أبو الحسن بن أحمد الفقيه قال: نزل الموت برجل كان عندنا فقيل له: استغفر اللَّه فقال: ما أريد. فقيل له: قل: لا إله إلا اللَّه فقال: ما أقول لجهد جهده ثم مات[2] .

● **قال ابن الجوزي:** وسمعت شخصًا آخر يقول وقد اشتد به الألم: ربي يظلمني! وهذه حالة إن لم ينعم فيها بالتوفيق للثبات وإلا فالهلاك.

وهذا ما كان يقلقل سفيان الثوري فإنه كان يقول: أخاف أن يشتد عليَّ الأمر، فأسأل التخفيف فلا أجاب فأفتتن[3] .

ولا شك في أن من علامات سوء الخاتمة أن يموت العبد على عمل يغضب اللَّه عز وجل، فيكون ذلك خزيًا له وفضيحة في الدنيا، مع ما ينتظره من خزي الآخرة وعذابها، وقد ذكرنا أمثلة لذلك في أسباب سوء الخاتمة، فلا نطيل بذكر أمثلة أخرى نسأل اللَّه السلامة والعافية.

● **قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ:** والحكايات في هذه كثيرة جدًّا، فمن كان مشغولاً باللَّه وبذكره ومحبته في حال حياته وجد ذلك أخوج ما هو إليه عند خروج روحه إلى اللَّه، ومن كان مشغولاً بغيره في حال حياته وصحته فيعسر عليه اشتغاله باللَّه وحضوره معه عند الموت، وما لم يدركه عناية ربه، ولأجل هذا كان جديرًا بالعاقل أن يلزم قلبه ولسانه ذكر اللَّه حيثما كان، لأجل تلك

---

(١) «تذكرة الإخوان بخاتمة الإنسان» لعادل السعيدان ص(٤٥) الطبعة الأولى.

(٢، ٣) «الثبات عند الممات» ص(٨٠).

اللحظة التي إن فاتت شقي شقاوة الأبد، فنسأل اللَّه أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته[١].

* علامات سوء الخاتمة عند التغسيل:

● قال في «تذكرة الإخوان بخاتمة الإنسان»: ولقد حدثني عدد ممن يغسلون الموتى من مناطق مختلفة، عن بعض ما شاهدوه أثناء التغسيل من هذه العلامات، والغريب في الأمر أنهم يتفقون على صفات معينة، يرونها على هؤلاء الموتى، وأكثر هذه الحوادث متشابهة، من ذلك أن الرجل الذي يموت على الخير يبدو وكأنه نائم وأما من مات على خلاف ذلك فيظهر عليه الفزع وخوف الموت، مع تغير في وجهه، ولقد غسلت وشاركت في التغسيل ورأيت بعض ذلك والحمد للَّه.

حدثني أحدهم فقال: غسلت رجلاً، وكان لونه مصفرًّا، وفي أثناء التغسيل أخذ لونه يتغير إلى السواد من رأسه إلى وسطه فلما انتهيت من التغسيل فإذا به قد أصبح كالفحمة السوداء.

قال: وميت آخر كان وجهه أثناء التغسيل متوجهًا نحو كتفه الأيسر، فلما أرجعته نحو الكتف الأيمن عاد إلى الجهة اليسرى، حتى لما وضعته في قبره ووجهته نحو القبلة انصرف وجهه عنها إلى أعلى.

وحدثني مغسلٌ آخر أنه غسل رجلاً وكان لونه مصفرًّا، فلما فرغوا من التغسيل اسود وجه ذلك الرجل فقلت له: أسود مثل لحيتي؟ قال: أسود كالفحم، قال: ثم صار يخرج من عينيه دم أحمر وكأنه يبكي الدم والعياذ باللَّه.

---

(١) «طريق الهجرتين» ص(٣٠٨ ـ ٣٠٩).

وحدثني مغسل آخر فقال: دخلت ذات مرة على بعض الإخوان وهم يغسلون ميتًا فرأيت وجهه مسودًا كأنه قرص محترق، وجسمه أصفر، ومنظره مخيفًا، ثم جاء بعض أهله لينظروا إليه فلما رأوه على تلك الصورة فروا هاربين خوفًا منه[١] .

* **علامات سوء الخاتمة عند الدفن:**

قال في «تذكرة الإخوان»: وأما ما ظهر عند الإنزال في القبر والعياذ بالله فحدثني أحد المغسلين فقال: غسلت عددًا كبيرًا من الموتى لسنين طويلة، وأذكر أني وجهت أكثر من مائة ميت كلهم صرفت وجوههم عن القبلة.

وحدثني مغسل آخر قال:

عندما وضعت أحد الموتى في قبره ووجهته نحو القبلة، رأيت وجهه قد تحول إلى أسفل، ودخل أنفه في التراب، ثم وجهته إلى القبلة ووضعت تحت رأسه ترابًا، ولكنه عاد وأدخل أنفه في التراب، ثم وضعت رملاً أكثر في هذه المرة حتى لا يعود ولكنه عاد وأدخل أنفه في التراب، ولم أزل معه حتى تكرر الأمر خمس مراتٍ فلما يئست منه تركته وأغلقت القبر[٢] .

● قال أحد الفضلاء: كنا في رحلة دعوية إلى الأردن، وفي ذات يوم وقد صلينا الجمعة في أحد مساجد مدينة الزرقاء وكان معنا بعض طلبة العلم وعالم من الكويت، وبينما نحن جلوس في المسجد وقد انصرف الناس، إذا بقوم يدخلون باب المسجد بشكل غير طبيعي وهم يصيحون أين الشيخ؟ أين الشيخ؟ وجاءوا إلى الشيخ الكويتي فقالوا له: يا شيخ عندنا شاب توفي صباح هذا اليوم عن طريق حادث مروري وإننا عندما حفرنا قبره.

(١) «تذكرة الإخوان» باختصار ص(٤٧ ـ ٤٨).

إذا بنا نفجأ بوجود ثعبان عظيم في القبر، ونحن الآن لم نضع الشاب وما ندري كيف نتصرف؟

يقول الراوي: فقام الشيخ وقمنا معه وذهبنا إلى المقبرة، ونظرنا في القبر فوجدنا فيه ثعبانًا عظيمًا قد التوى: رأسه في الداخل وذنبه في الخارج، وعينه بارزة يطالع الناس.

قال الراوي: فقال الشيخ: دعوه واحفروا له مكانًا آخر.

يقول: فذهبنا إلى مكان آخر بعد القبر الأول بمائتي متر تقريبًا، فحفرنا وبينما نحن في نهايته إذا بالثعبان يخرج. فقال الشيخ: انظروا القبر الأول فإذا بالثعبان قد اخترق الأرض وخرج من القبر الأول مرة أخرى.

قال الشيخ: لو حفرنا ثالثًا ورابعًا سيخرج الثعبان فما لنا حيلة إلا أن نحاول إخراجه.

يقول الراوي: فجئنا بأسياخ وعصي فانحمل معنا وخرج من القبر وجلس على شفيره والناس كلهم ينظرون إليه، وأصاب الناس ذعرٌ وخوف، حتى إن بعضهم حصل له إغماء فحملته سيارة الإسعاف.

وحضر رجال الأمن ومنعوا الاتصال بالقبر إلا عن طريق العلماء وذوي الميت.

يقول الراوي:

وبينما جيء بالجنازة وأدخلت القبر إذا بذلك الثعبان يتحرك حركة عظيمة ثار على أثرها الغبار، ثم دخل من أسفل القبر فهرب الذين داخل القبر من

---

(١) «تذكرة الإخوان» باختصار ص(٤٨).

شدة الخوف، والتوى الثعبان على ذلك الميت وبدأ من رجليه حتى وصل رأسه، ثم اشتد عليه فحطمه: يقول الراوي: إنا كنا نسمع تحطيم عظامه كما تحطم حزمة الكراث.

يقول الراوي: ثم لما هدأت الغبرة وسكن الأمر جئنا لننظر في القبر، وإذا الحال كما هو عليه من تلوي ذلك الثعبان على الميت وما استطعنا أن نفعل شيئًا.

وقال الشيخ: اردموه، فدفناه ثم ذهبنا إلى والده فسألناه عن حال ابنه الشاب؟ فقال: إنه كان طيبًا مطيعًا إلا أنه كان لا يصلي، نعوذ باللَّه من سوء الختام[1].

● وقد ورد في «تذكرة القرطبي» قصة مشابهة:

قال القرطبي ـ رحمه اللَّه ـ: وأخبرني صاحبنا الفقيه العالم أبو عبد اللَّه محمد بن أحمد القصري ـ رحمه اللَّه ـ أنه توفي بعض الولاة بقسطنطينية، فحفر له، فلما فرغوا من الحفر وأرادوا أن يدخلوا الميت القبر إذا بحية سوداء داخل القبر، فهابوا أن يدخلوه فيه فحفروا له قبرًا آخر، فإذا بتلك الحية، فلم يزالوا يحفرون له نحوًا من ثلاثين قبرًا، وإذا بتلك الحية تتعرض لهم في القبر الذي يريدون أن يدفنوه فيه، فلما أعياهم ذلك سألوا ما يصنعون؟ فقيل لهم: ادفنوه معها نسأل اللَّه السَّلامة والستر في الدنيا والآخرة[2].

* * *

(١) «رسالة عاجلة إلى المسلمين» ص(٤٦ ـ ٥٠)، وقال المصنف: سمعتها من الشيخ: سعيد ابن مسفر ثبتنا اللَّه وإياه.

(٢) «التذكرة» (١/ ١٧٠).

* علامات سوء الخاتمة بعد الدفن:

فمن ذلك قصة الرجل الذي نبذه القبر في عهد النبوة:

عن أنس بن مالك ﷺ قال: كان منّا رجلٌ من بني النجار قد قرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتب لرسول الله ﷺ فانطلق هاربًا حتى لحق بأهل الكتاب، قال: فرفعوه، قالوا: هذا قد كان يكتب لمحمد ﷺ.

فأعجبوا به فما لبث أن قصم اللَّه عنقه فيهم، فحفروا له فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا فحفروا له فواروه، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، فتركوه منبوذًا[(١)] .

● ومن ذلك ما ذكره ابن القيم - رحمه اللَّه - قال: «حدثني صاحبنا أبو عبد اللَّه محمد بن الوزير الحراني أنه خرج من داره بعد العصر بآمد إلى بستان قال: فلما كان بعد غروب الشمس توسطت القبور، فإذا بقبر منها وهو جمرة نار مثل كوز الزجاج والميت في وسطه، فجعلت أمسح عيني وأقول: أنائمٌ أنا أم يقظان؟ ثم التفت إلى سور المدينة، وقلت: واللَّه ما أنا بنائم، ثم ذهبت إلى أهلي وأنا مدهوش فأتوني بطعام فلم أستطع أن آكل. ثم دخلت البلد فسألت عن صاحب القبر فإذا به مكاس قد توفي ذلك اليوم[(٢)] »[(٣)] .

***

(١) رواه البخاري (٦/ ٦٢٤) «الأنبياء»، وأحمد (٣/ ٢٢٢).

(٢) «الروح» ص(٩٨).

(٣) «تذكير النفوس المؤمنة» ص(٥٨ - ٦٥).